# عندما يعلن الاستعمار توبته

❋ الكتاب: عندما يعلن الاستعمار توبته

(دليلك لاكتشاف حقيقة الاحتلال والخلافة العثمانية)

❋ تأليف: أ.د/ أحمد محمد البغدادي

❋ مراجعة لغوية: قسم التحرير والمراجعة بدار المنتدىٰ

❋ تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار المنتدىٰ

❋ إخراج داخلي: القسم الفني بدار المنتدىٰ

❋ رقم الإيداع: 22321 / 2023

❋ **الترقيم الدولي:** 978-977-86356-7-6

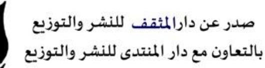


**المدير العام: الأستاذ عزيز عثمان**

**لمراسلة الدار:** daralmuntadaa@gmail.com

**واتس آب:** +20 100 518 6476

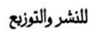
**فيسبوك:** دار المنتدى للنشر والتوزيع















# عندما يعلن الاستعمار توبته

## دليلك لاكتشاف حقيقة الاحتلال والخلافة العثمانية

الطبعة الثانية مَزيدة ومُنقحة

تحقيق ودراسة في مخطوط
الشيخ حسن بن محمد بن محمود العطار شيخ الأزهر
«رسالة تحقيق الخلافة الإسلامية ومناقب الخلافة»
١١٩٠ ــ ١٢٥٠هـ / ١٧٦٦ ــ ١٨٣٥م


للأستاذ الدكتور

## أحمد محمد البغدادي

أستاذ فلسفة القانون وتاريخه
مستشار الجودة والتطوير بحقوق بنها
مُحرر إصدارات المعمل القانوني

# الفهرس

# مُقدمة الكتاب

١. عزيزي القارئ، كلفتني الجامعة من عدة سنوات بالإشراف على امتحانات بعض الطلاب في أحد السجون المصرية، والتقيت هناك بأكثر من عضو وقيادي في حركة إسلامية أو أكثر، ودار الحوار حول الحكم العثماني لمصر، عاتبوني فيه بسبب موقفي الذي ضمنته أكثر من مؤلف دراسي، وكيف إنني أعترض على مقولة الفتح العثماني وفكرة الخلافة العثمانية، كان سندي ومنهجي حقائق التاريخ والمنطق ولم يكن موقفي ينطوي على أي شعور بالعداء للشعوب التركية وحضاراتهم وتاريخهم مع الإسلام ورسالته.

ولا شك أن ذلك الحوار كنت قد اختزنته، فظهر أثره في أكثر من موضع عندما عكفت على تنقيح منهجي الذي تبنيته في مسيرتي العلمية، ولذلك فإنه يؤسفني عزيزي القارئ أن تخلو المُقررات الدراسية في جامعاتنا ومدارسنا من المُصطلح الذي يجب أن يندرج تحته الحكم الأجنبي لمصر على امتداد عصور تاريخها السياسي وأن يدرس الطلاب ذلك الحكم بعيدا عن ظاهرة الاستعمار، والأثر الذي خلفته بين المصريين وأن تخلو تلك المُقررات من البحث في النهب والاستنزاف الاقتصادي، الذي حدث بيد المُستعمر.

وهكذا يُختزل تاريخ المُستعمر في بلادنا تحت عناوين الإيجابيات والسلبيات، والتأثير والتأثر! ومن العجيب أنه في تلك المُقررات تُوصف بعض الموجات الاستعمارية على بلادنا تحت اسم «الحملة»! وإنه

تُستخلص الحملة الفرنسية من بينها لتصبح فاتحة الحضارة التي استهل بها المصريون تاريخهم الحديث، وتوحي إليك تلك المُقررات عزيزي القارئ بأن المُستعمر أنهى تاريخه وأغلق مشروعاته وأعلن توبته في مصر وبلادنا العربية!

٢. حدثتك عزيزي القارئ عن الأثر الأول الذي خلَّفه ذلك الحوار مع بعض الطلاب في أحد السجون المصرية أما الأثر الثاني فقد تجلي في مخطوطة اخترتها من بين عشرات المخطوطات في دار الكتب والوثائق القومية كان موضوعها الخلافة الإسلامية وكان مؤلفها أحد علماء مصر النابهين في القرن التاسع عشر للميلاد

ولا يختلف الباحثون حول أهمية الكاتب والمخطوط الذي أقدمه إليك عزيزي القارئ ولعلك تريد مني الدليل على ذلك لقد تولي شيخنا حسن العطار مؤلف المخطوط موضوع هذه الدراسة مَشيخة الأزهر ما يقرب من سنوات أربعة في عهد محمد علي باشا ولا خلاف في أنه كان من أعلام عصره في علوم اللغة العربية ورب قائل إنه لم يكن في المُقدمة بين قادة الفكر الإصلاحي في عصره ومع ذلك فإنه لا يجوز للباحث أن يغفل وجوده وأثره بين هؤلاء الرواد وأود أن أُضيف إلى ما تقدم أنه قدم الكثير والهام فيما يتعلق بمنهج البحث ولغته في آداب اللغة وميدان الفقه الإسلامي.

هل تريد عزيزي القارئ دليلا آخر وبرهانا جديدا؟ لم تكن حياة الشيخ العطار سعيدة هانئة، وهو يتنقل من طفولته إلى صباه وشبابه

وسيكون لدينا فرصة يجب أن نغتنمها ونحن نبحث في حياته وكيف أنها أثارت الكثير من التساؤلات حول مهمة المثقف ودور العالِم والفقيه عندما يُبتلى مُجتمعه بالتخلف أو تُنكب بلاده بالاستعمار وعندما يتصارع داخله الطموح العلمي والتطلع الاجتماعي!

٣ أما موضوع النص الذي يتضمنه هذا الكتاب فهو: رسالة الشيخ حسن العطار في الخلافة الإسلامية ولقد كان العطار دقيقًا في اختيار عنوان رسالته والذي جاء على النحو التالي: «تحقيق الخلافة الإسلامية ومناقب الخلافة» ذلك أن العطار لم يكن يبتغي الإحاطة بالأحكام الشرعية لنظام الخلافة الإسلامية وإنما كان هدفه إقامة الدليل على شرعية الخلافة العثمانية وبيان محاسن الحكم العثماني.

وفي سبيل تلك الغاية اختطَّ العطار لنفسه خطة عرض خلالها تفسيره لتطور نظام الخلافة الإسلامية ولقد تتبع ذلك التطور على أساس مفهوم بعينه هو مفهوم «العصبية» اتخذ الشيخ العطار من ذلك المفهوم «بوصلته» وهو يقتبس من غيره أو حينما كان يحلل هذه الفكرة أو تلك ويستخلص نتائجها وأتاحت له خطته وبوصلته البحث في أكثر شروط الخليفة إثارةً للخلاف الفقهي ونقصد بذلك (شرط القرشية أو النسب القرشي وشرط الكفاية أو الكفاءة).

تلك كانت خطة الشيخ العطار في رسالته، فما هي خطتنا ونحن نعرضها على صفحات هذا الكتاب؟ هل ترغب عزيزي القارئ في التعرف على أهم المسارات التي تطور خلالها نظام الخلافة الإسلامية، وكيف غُرست

بذرة التوريث وطاعة الاستبداد في تربة الفقه والوعي الإسلامي قبل عشرات القرون، وكيف يُتحايل على حقائق التاريخ وأحكام الخلافة بغرض الدفاع عن الاحتلال العثماني ودعوى خلافته؟

أستأذنك عزيزي القارئ في أن نأخذ طرف الخيط في كل مرة من أفكار شيخنا العطار وعباراته وأرجو أن تجد في هذا الكتاب إجابة على هذه الأسئلة أو تجد فيه مرشدا لاستكمال ما نقص فيه وما كان الباحث قد عجز عن الإحاطة به!

# تقسيم الكتاب

## الفصل الأول

دراسة في «رسالة تحقيق الخلافة الإسلامية ومناقب الخلافة»

للشيخ حسن بن محمد بن محمود العطار

## الفصل الثاني

نص مخطوط الرسالة والتحقيق

❊ ❊ ❊

# الفصل الأول

## دراسة ومُناقشة في
## «رسالة تحقيق الخلافة الإسلامية ومناقب الخلافة»
## للشيخ حسن بن محمد بن محمود العطار

# تمهيد وتقسيم

٤- سيكون من المفيد أن نبدأ حديثنا بالبحث في نشأة الشيخ العطار والأطوار التي تقلب خلالها في حياته وأن نربط بين حياته وأفكاره من جهة ومجتمعه وعصره من جهة أخرى، وذلك قبل أن ننتقل إلى مُناقشة الإضافات التي تضمنتها رسالته، سواء في منهجها أو في موضوعها.

١. المبحث الأول: حياة الشيخ العطار ومجتمعه ومنهجه.
٢. المبحث الثاني: مُناقشة الشيخ العطار في مسألة تطور الخلافة.
٣. المبحث الثالث: وصف مخطوط الشيخ العطار ومنهج تحقيقه

# المبحث الأول

# حياة الشيخ العطار ومجتمعه ومنهجه

## البحث عن مدخل للعطار ورسالته

٥- هناك أكثر من مدخل لتقديم رسالة الشيخ حسن بن محمد بن محمود الشهير بالعطار والمولود بالقاهرة (١١٩٠-١٢٥٠هـ/١٧٦٦-١٨٣٥م) ومن ذلك: أن نُشير إلى إحدى سمات المجتمع المصري تحت الاحتلال والحكم العثماني وهي قدرة التنظيمات الاجتماعية المحلية على استيعاب الوافدين إلى مصر كانت تلك التنظيمات تقوم على تجمع أهل كل ديانة أو حرفة في طائفة وتنظيم مُحدد ومثلهم في ذلك أيضا مثل أصحاب «التبعية» أو الجنسية الواحدة وكان انتماء الفرد إلى أحد تلك التنظيمات سبيله للمشاركة في الحياة الاجتماعية داخله والحصول على الحقوق التي يتمتع بها أفراد ذلك التنظيم.

ولقد وفد والد الشيخ العطار من المغرب ثم عمل بالعِطارة ومنها جاءت شهرة شيخنا، ويبدو أن الابن كان قد أبدى استعدادا مُبكرا للدراسة، مما يسر له طريق الالتحاق بالأزهر رغم ظروف أسرته وحفزه على الترقي في علومه وعلى رأسها اللغة العربية[1]

---

(١) تقرير الحالة الدينية في مصر، ط٣، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية
بالأهرام، ١٩٩٥م، ص٣٢.

ويمكننا أن نستعين في بحثنا بتعبير الأستاذ «روبير سوليه» الذي اختص به مصر وكيف أنها ارتبطت «في كل حال بمفهوم الهروب»[2] لقد هرب الشيخ العطار إلى صعيد مصر أسيوط عقب الغزو الفرنسي وقضى بها زمنًا وهي الغزوة الاستعمارية التي وقعت بين سنتي (١٢١٣-١٢١٥هـ/١٧٩٨-١٨٠١م) وانطلق بعد اندحار تلك الغزوة في رحلة تنقَّل فيها بين تركيا والشام بين سنتي (١٢١٧-١٢٢٥هـ/١٨٠٢-١٨١٥م)

ويمكننا أن نتخذ من صداقة شيخنا العطار لكُلٍّ من الأساتذة: الجبرتي والخشاب مدخلا عندما جمعتهم الصداقة وزمالة العمل[3]، ونقصد بعملهم في هذا المقام: أشكال التعامل الرسمية سواء مع علماء الاحتلال

---

(٢) روبير سوليه، مصر ولع فرنسي، ترجمة: لطيف فرج، القاهرة:هيئة الكتاب، ١٩٩٩م، ص١.

(٣) أبو الحسن إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن مدكور الوهبي الحسيني الشافعي المصري المعروف بالخشاب، توفي (١٢٣٠هـ/١٨١٥م). عمل كاتبًا بالديوان الذي أُعيد تنظيمه تحت حكم «مينو». ومن أهم مُصنفاته: أخبار أهل القرن الثاني عشر (تحقيق: عبد العزيز جمال الدين وعماد أبو غازي، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م). وأيضًا: خلاصة ما يراد من أخبار الأمير مراد (ملحق رقم ١٠ في عجائب الآثار من التراجم والأخبار للجبرتي، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، القاهرة: مكتبة مدبولي). عبد الرحمن بن حسين برهان الدين الجبرتي (١١٦٨-١٢٣٧هـ/١٧٥٤-١٨٢٢م): عُين عضوًا في الديوان الأول لنابليون، وزامل الخشاب في الديوان الثالث زمن مينو. إنتقد حكم محمد على باشا، ولذا أُشيع أن الحادث الذي تُوفي بسببه كان مُدبرًا. راجع فيما سبق: يسري عبد الغني عبد الله، معجم المؤرخين المسلمين في القرن الثالث عشر الهجري، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٤٠-٤٦ و٦٤-٦٥.

الفرنسي أو مع تنظيم «الديوان» وهو التنظيم الذي أنشأه المُحتل الفرنسي لإدارة شئون البلاد وكانت تلك العلاقة من بين العوامل التي أفسدت علاقتهم جميعا مع بعض كبار المشايخ فيما بعد[٤]، ولا شك أنها قد دفعت الشيخ العطار إلى مُغادرة مصر عقب خروج المُستعمر الفرنسي.

ولنا أن نقصد علاقة شيخنا العطار بالسلطة إلى أن اختتمها شيخًا للأزهر في ولاية محمد علي باشا بين سنتي (١٢٤٦-١٢٥١هـ/١٨٣١-١٨٣٥م) وكان قبل مشيخته المذكورة قد قضى عامين في الإشراف على جريدة الوقائع المصرية ولا شك أن علاقته بالسلطة زادت من حدة التنافس والدس بينه وبين كبار علماء الأزهر ومن ناحية أخرى: فإن تلك العلاقة كانت قد أثرت في بعض مؤلفاته وتحديد موضوعها ومن ذلك كتابه في «الإنشاء» الذي صنفه الشيخ العطار واختص به ديوان

(٤) عاش الخشاب بعد رحيل الاستعمار الفرنسي في عزلة، وكانت كتب الجبرتي موضع اتهام، فقد اتهمه البعض بتهويله فظائع الاحتلال الفرنسي واتهمه آخرون بالتقصير في بيان تلك الفظائع! راجع: محمد عبد الله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٩م، ص١٨٥. د. محمد عفيفي، ماذا فعلت الحملة الفرنسية في مصر، حوار: سعيد محمود حسن، مجلة الأهرام العربي، عدد ٣٦٢، ٨ من المحرم ١٤٢٥هـ، ٢٨ من فبراير ٢٠٠٤م. محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، كتاب الهلال، ٤٢٢، القاهرة: دار الهلال، أكتوبر ١٩٨٧م، ص١٤٧-١٤٨، و١٩٢-١٩٣.

«الجهادية» أو الجيش ومُكاتباته في عهد محمد علي باشا[5] التطور القانوني في مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر.

٦- لقد لاحظنا في محاولاتنا مع العطار حياة زاخرة بالوقائع، بل والمواقف المُتناقضة، ماذا لو اعتمدنا على مفهوم الهروب الذي خَطه «روبير سوليه» وبحثنا عن مفاتيح الشخصية طبقا للمنهج الذي اتخذه أستاذنا «عباس محمود العقاد» في تراجمه؟ يمكن القول: إن أحوال العطار وتقلباته كانت مظهرًا لأزمة «المُثقف» العالِم[6]، ولما كانت أفكار شيخنا العطار تجعله بين زُمرة الإصلاحيين في زمانه، فإنه لا يجوز أن نفصل أزمته تلك عن أحوال مجتمعه.

كانت مصر في ذلك الوقت تخضع لتغيرات قانونية كبرى بسبب تطور أحوالها الاقتصادية والسياسية، لقد أخذ التنظيم الاجتماعي والعسكري للمماليك في التهاوي بعد أن أنهكهم الصراع وبعد أن تلاشي نفوذهم الاقتصادي بسبب إلغاء نظام «الالتزام» في البلاد وأضحى

---

(٥) بيتر جران، الجذور الإسلامية للرأسمالية في مصر (١٧٦٠-١٨٤٠م)، ط١، ترجمة: لطيف فرج، مراجعة: د. رؤوف عباس، القاهرة، دار الفكر، ١٩٩٣م، ص٢٢١-٢٢٦، و٢٧٤-٢٧٥.

(٦) لاحظ «بيتر جران» بعض مواقف العطار المُتناقضة مثل: دعوته للاجتهاد وانتقاصه من مكانة المرأة في ذات الوقت. راجع: المصدر السابق، ص٢٢٤-٢٢٥، وص٢٥١-٢٥٢. وسيأتي الحديث عن المزيد من التناقضات المُرتبطة بشيخنا في الصفحات التالية.

تنظيم السلطة في مصر يقوم على أقلية أجنبية تدين بالولاء لمحمد علي باشا[٧].

ولذلك جميعه: اتسع النشاط القانوني في مصر واصطبغت التشريعات بالصبغة الجنائية، كان الهدف من تلك التشريعات حماية الأموال والمصالح «الميرية» العامة وكان موضوعها الرئيس: تنظيم العمل الزراعي والإداري وأعمال الحرف والورش وتشديد العقاب على الجرائم المُرتبطة بتلك الأعمال.

---

(٧) د. طاهر عبد الحكيم، الشخصية الوطنية المصرية، قراءة جديدة لتاريخ مصر، ط١،

القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٦م، ص١١٩.١١٥. د. محمد نور فرحات، المجتمع والشريعة والقانون، كتاب الهلال، ٤٢٦، القاهرة: دار الهلال، رمضان ١٤٠٦هـ، يونية ١٩٨٦م، ص١٣٠-١٣١. اختلف الباحثون في تقييم نتائج إلغاء الالتزامات الزراعية واتباع سياسة الاحتكار الاقتصادي في عهد محمد على باشا. ويمكن القول: إن تلك النظم حالت دون نمو طبقة وسطي محلية، وأفسحت الطريق لتركيز الأرض والثروة بيد الأجانب، أما المُلتزم فقد كان وسيطًا بين الدولة والفلاح يسدد للدولة مبلغ «الميري»، أو ضريبة الأرض الزراعية. ويحتفظ لنفسه ب«الفائض» وهو الفارق بين الميري وغلة الأرض، وخلافًا لرأي أستاذنا د. طاهر عبد الحكيم يرى أستاذنا د. نور فرحات، وأستاذنا د. محمد دويدار: أن سياسة محمد على باشا الاقتصادية أدت إلى نمو طبقة من ملاك الأرض من ابناء الأسرة الحاكمة وكبار الموظفين وبعض مشايخ وأغنياء القرى، بل وظهور طبقة عاملة في رأي د. دويدار. راجع: د. محمد نور فرحات، المصدر السابق، ص١٣٤.١٣٣. د. محمد دويدار، التكون التاريخي للتخلف الاقتصادي في مصر، مجلة مصر المعاصرة، عدد ٣٧٣، السنة ٦٩، يوليو ١٩٧٨م، ص٢٣٦-٢٣٩.

وفي الوقت ذاته: أخذت جهود الإصلاح العثماني في الاتساع فمهدت السبيل نحو التوسع في حركة الاقتباس القانوني من الغرب الأوروبي[٨] كانت هناك فكرة قد ترسخت لدى الدولة العثمانية وحكام المسلمين في ذلك العصر أرجو أن تتأملها عزيزي القارئ:

i. وخلاصة فكرتهم أن الفجوة بين المسلمين والغرب يمكن تخطيها باستيراد المزيد من التقنية والقوانين ولذا أُلبست فكرتهم شعار الإصلاح، ولقد ترتب على ذلك تعميق التبعية الاقتصادية والقانونية لمصلحة الغرب الأوروبي وانحسار نطاق تطبيق الشريعة الإسلامية، وكان من الطبيعي أن يفقد العلماء والمشايخ الكثير من نفوذهم الاجتماعي والسياسي ومما ساهم في ذلك فيما يتعلق بمصر انفراد محمد علي باشا بالسلطة وتطبيق سياسة الاحتكار الاقتصادي.

ii. وهكذا نُظر إلى فجوة التخلف من زاوية وحيدة، ولم يلاحظ حكام المسلمين في ذلك الوقت أن النهضة الأوروبية قامت على مجموعة من الدعائم، وفي مُقدمتها نظام الحقوق والحريات العامة كانت تلك الدعائم قد ميزت النظم السياسية والاجتماعية في الغرب الأوربي وكانت تدعم شعوبها في سعيها للمشاركة في الحكم وصناعة القوانين في الوقت الذي كان

(٨) د. عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٧٣-١٩٨.

محمد علي باشا يصدر أوامره بتنفيذ عقوبة الجلد على «المِقعدة» بدلا من «الظهر» وذلك بغرض الحد من عدد الوفيات بين الفلاحين وأهل الحرف في مصر!

## رسالة العطار والمجتمع في العصر العثماني

٧- وهناك أكثر من صلة تربط بين ما عرضناه من إطار اجتماعي وبين شيخنا العطار ورسالته ذلك أن الطموح العلمي للعطار لم يكن ليتصل دون تنامي حركة الاقتباس والتأثير الثقافي للغرب الأوربي، وبفضل تلك الحركة وحماسة دعاتها تمكن شيخنا العطار من مواصلة بحثه في بعض العلوم كالطب والكيمياء والفلك[٩].

ومن جهة أخرى فإن رسالة العطار في الخلافة موضوع هذا الكتاب لم تكن عملا منفصلا عن الاتجاه السائد لدى العلماء والمشايخ في عصره كانت الخلافة واجبا دينيا وفقا لما قرره جمهور الفقهاء ولذلك فإن كل إصلاح اجتماعي ينبغي أن يحدث في إطار حكم دولة الخلافة.

(٩) حصر بيتر جران أعمال العطار في (٩٣) بين مُصنف وتعليق ورسالة، بعضها مفقود. أهمها: رسالته في علم الكلام (مخطوط بدار الكتب، ب ٤٢٥٨١٦) .رسالة العلامة حسن العطار في الاجتهاد (مخطوط بدار الكتب ٣٢٣، مجاميع تيمور مخطوطات ٤٥-٨١) . حاشية العطار على مقولات السيد البليدي .حاشية العطار (الكبرى) .حاشية العطار (الصغرى). والحواشي الثلاث طبعة المطبعة الخيرية ١٣٢٩هـ، ١٩١١م. راجع: الجذور الإسلامية للرأسمالية في مصر، سابق الإشارة، ص٣٤١-٣٥٣.

وفي تلك الملاحظة تفسير لخاتمة جهود العلماء والمشايخ في مصر في مسألة التغيير السياسي[10] لم تمتد جهود هؤلاء العلماء إلى محاولة تغيير النظام السياسي السائد لقد ساند العلماء محمد علي باشا ودفعوا به نحو اعتلاء السلطة في مصر، وهي السلطة التي كان ينبغي أن تستند في شرعيتها رسميا إلى «الخليفة» العثماني.

ومن جهة ثالثة: فإن دفاع الشيخ العطار عن خلافة العثمانيين كان قد سبقه فيه آخرون من علماء المذهب الحنفي، ربما منذ غَلبة السيطرة والنفوذ التركي العثماني في أقاليم مصر والشام[11].

ويصح أن نُشير إلى وجه آخر للعلاقة بين الشيخ العطار ومخطوطه الذي بين أيدينا وبين المجتمع في عصره، كان الشيخ العطار يتحدث عن مجموعة من المقاصد التي تتلخص في إحياء السنة النبوية وإماتة البدعة والرجوع إلى سيرة السلف الصالح في الحكم، ولقد تناولها الشيخ العطار بحسبانها من محاسن الخلافة العثمانية وحقيقة الأمر أنها كانت بين المقاصد الرئيسة التي تناولتها تيارات الإصلاح الاجتماعي

---

(١٠) راجع على سبيل المثال: د. طاهر عبد الحكيم، سابق الإشارة، ص ١١. ومع ذلك يجب ملاحظة أن المصريين ظفروا بالحق في عزل واختيار الوالي رسميا في مايو ١٨٠٥م بعد إقرار السلطان العثماني رسميا بذلك وموافقته على اختيارهم محمد على باشا للولاية على مصر.

(١١) محمد رشيد رضا، الخلافة، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٥هـ،١٩٩٤م، ص٢٧-٢٨ و٣٤. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة وتعلىق: د. حسين مؤنس، القاهرة، دار الهلال، [دون]، جـ١، ص١٢٩.

والسياسي في العالم الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد[١٢].

ويمكننا أن نضم إلى الملحوظة السابقة ما يمكن اعتباره تفسيرا لتطور نظام الخلافة اشتمل على جانب من آراء الشيخ العطار الإصلاحية كان شيخنا يرى أن استبداد الحكام بالرأي والعسف بمعارضيهم إحدى السمات العامة للحكم منذ خلافة بني أمية وإضافةً إلى ذلك فقد أشار إلى أكثر من محنة تعرض لها العلماء في ظل خلافة العباسيين، وربما كان يُلمح بذلك إلى علاقة العلماء بالسلطة في أواخر عصر الخلافة العباسية ونشير فيما يتعلق بتلك المسألة إلى أنه سبق للشيخ المَرصفي الذي أدرك الشيخ العطار أن تحدث فيها بعبارات أكثر وضوحا وأشد بيانا[١٣].

---

(١٢) راجع: د. معن خليل عمر، الحركات والتيارات الاجتماعية في القرن التاسع العشر، مجلة الباحث، عدد ٤٩، السنة ١٠، كانون الثاني-آذار ١٩٨٨م، ص٩٩-١٢١.

(١٣) ربط الشيخ المرصفي. وسيأتي ذكره في نفس الفقرة. بين سوء حالة العلم والعلماء عند المسلمين، وبين مسألة الاستبداد السياسي. وقد فصَّل بعض اللاحقين تلك المسألة، منهم من لاحظ تأخر الفقه السياسي بسبب القهر والاستبداد وانتقال ثقة الأمة من قادتها السياسيين إلى قادتها الدينيين أي إلى الفقهاء والمتصوفة. راجع: حسين المرصفي، رسالة الكلم الثمان، تحقيق: د. محمد حافظ دياب، ذاكرة الكتابة، ٣١، هيئة قصور الثقافة، أبريل ٢٠٠٢م، ص٧٥ وما بعدها. د. حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ط٢، عالم المعرفة، ٢٣٧، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، جمادي الآخرة ١٤١٩هـ، سبتمبر ١٩٩٨م، ص٢٦٣-٢٦٤. محمد

ولذلك أعتقد أن رسالة الشيخ العطار فيما يخص الآراء الإصلاحية لم تصل إلى مرتبة «رسالة الكلم الثمان» التي خطها الشيخ المرصفي[١٤]، وربما كانت المُقارنة هنا أمرا مفيدا وذلك لعدة أسباب، أول تلك الأسباب: أن كُلا منهما كان قد عاصر التبعية القانونية للغرب الأوربي التي سبق وأن أشرنا إليها.

وبجانب ذلك: فإن كُلًّا منهما كان قد تأثر بأفكار أستاذنا ابن خلدون ومنهجه في التأليف[١٥].

وأخيرا: فإنه كان لكُلٍّ منهما معاناته الخاصة والأسرية على الرغم من اختلاف أثرها في سلوكه وطموحه ولا شك أن المركز الاجتماعي المُتدني

---

الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، القاهرة: دار نهضة مصر، مارس ١٩٩٨م، ص٤٦ وما بعدها.

(١٤) حسين بن أحمد المرصفي المتوفي (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م)، ولد لأب من علماء الأزهر. تلقي علومه بالأزهر وتولي التدريس به، ثم التدريس في دار العلوم التي أسسها على مبارك. ورسالته المذكورة في الفكر السياسي والنهضة المصرية أفرغها في ثمان مصطلحات هي: الأمة، والوطن، والحكومة، والعدل، والظلم، والسياسة، الحرية، والتربية. راجع: مُقدمة المُحقق د. محمد حافظ دياب لرسالة الكلم الثمان، سابق الإشارة.

(١٥) ومن ذلك: أن المرصفي تأثر في تقسيم رسالته بابن خلدون لأن مفهوم السياسة يتفرع عنده إلى ثمانية مفاهيم. وقد شُغل الشيخ محمد عبده .ومن بعده الشيخ المرصفي بتدريس مُقدمة ابن خلدون في دار العلوم. راجع: نفس المصدر، ص٢٦.

لأسرة شيخنا العطار كان أحد دوافعه للبحث عن أكثر سبل العيش أمانا ورفعة[16].

وقد يُقال: إن الآراء الإصلاحية كانت قد أخذت في التطور بعد شيخنا العطار غير أن الأمانة تقتضي أن نُشير إلى خاصية ميزت تلك الآراء وذلك أنها لم تكن تخلو من الوعي بالهُوية الدينية وشروط الانفتاح على ثقافة الغرب وعلومه[17].

**(١٦)** أصيب الشيخ المرصفي بالعمى في طفولته، وقضى حياة بسيطة، وكان يذهب إلى دار العلوم على حماره دون أن يرافقه أحد. راجع: نفس المصدر، ص٢١ و٢٥. أما الشيخ العطار فقد عُرف بسعيه للاتصال ببعض الشخصيات الهامة في مصر وتركيا، وقد= =يسرت له تلك الصلات سبيله العلمي وطريقه الوظيفي، راجع: بيتر جران، الجذور الإسلامية للرأسمالية في مصر، سابق الإشارة، ص٢٢٠-٢٢٢ و٣٣٥-٣٤٠. الجبرتي، عجائب الآثار، سابق الإشارة، جـ٣، ص٣٨١-٣٨٣.

**(١٧)** اعتني الشيخ العطار ومن بعده الشيخ المرصفي بتعلم اللغة الفرنسية والترجمة بها ووضع ضوابط تلقي العلوم من أوروبا. أما الشيخ محمد عياد الطنطاوي (١٢٢٥-١٢٧٨هـ/١٨١٠-١٨٦١م) . تلميذ الشيخ العطار . فقد حافظ على تقاليده الإسلامية في روسيا القيصرية، والتعريف بالإسلام وحضارته هناك. راجع: المرصفى، سابق الإشارة، ص٩٦-٩٧. فاطمة الحسن عبد الفتاح، جهود العلماء العرب في روسيا في القرن التاسع عشر، مجلة الفيصل، عدد ٣١٦، شوال ١٤٢٣هـ، ديسمبر ٢٠٠٣م، ص١٨-٢١٤. وراجع=
=في تأصيل الوعي بالغزو الثقافي أستاذنا: د. جلال أمين، تنمية أم تبعية اقتصادية وثقافية، القاهرة: مطبوعات القاهرة، [دون]، ص١١٤-١٢١.

## ملاحظات على منهج العطار في رسالته

٨- وإذا كنا قد أشرنا إلى تأثير أستاذنا ابن خلدون، فإنه ينبغي الإقرار أن شيخنا العطار لم يظل أسيرا لأفكاره، لقد كشف شيخنا عن مخالفات عِدة للأستاذ ابن خلدون وتلقف رأيه في مفهوم العصبية ثم عكف على تطويره كما سنرى ومع ذلك فإن الباحث ليندهش من مسلك العطار عندما اقتبس من أستاذنا ابن خلدون حرفيا دون أن يُشير إليه في أكثر المواضع! وربما لذلك السبب لم يهتم شيخنا العطار بقاعدة تمييز النص المُقتبس عن متن رسالته وهو أمر يصعب أن نعذره فيه لأن مثل تلك القاعدة كانت محل تطبيق بل واحترام لدى علماء المسلمين وقبل شيخنا العطار بعدة قرون[١٨].

ولعل ما يشفع لشيخنا العطار في غير ذلك وعيه بمنهج مُحدد في رسالته التي بين أيدينا واستعانته بأكثر من أداة منهجية لتفصيل فكرتها كما سيأتي، ولعل المظهر الأهم لوعيه بمنهجه أن رسالته لم تخرج عن الغاية منها، ولذلك كان يتجنب البحث في مسائل قد تتفرع عن فكرته، لكنها في الوقت نفسه تُباعد بين الرسالة وغايتها.

---

(١٨) راجع على سبيل المثال: أبو عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان، ضوابط الكتابة عند المحدثين، ط١، القاهرة: مكتبة المدينة المنورة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص٣١.

وتفصيل ذلك أن شيخنا العطار لم يكن سباقا في هذا الشكل من المُصنفات التي كانت تُعرف باسم «الرسائل»[19]، غير أنه كان واعيا بمنهج الرسائل وإنه لم يكن يصلح لها طريقة أستاذنا الجاحظ في التأليف ونعني بذلك دأب أستاذنا الجاحظ على تتبع كل فكرة تفرعت عن الفكرة الرئيسية لكتابه حتى إذا ما أتى على إحداها انتقل إلى فكرة أخرى، وتطبيقا لهذه الخلاصة يمكن القول: إن رسالة شيخنا العطار كانت تتميز بأمرين هامين.

أما الأول: فهو دقة العنوان وهو ما أشرنا إليه من قبل.

والأمر الآخر: البراعة التي أظهرها شيخنا في انتقاء أكثر عباراتها وألفاظها[20].

---

(١٩) وهي المُصنفات الصغيرة الحجم، التي تتناول موضوعا واحدا، فتتميز بذلك عن الكتب. ويطلق عليها الشيخ السيوطي -أحيانًا- اسم «أجزاء».

(٢٠) وهناك علاقة بين براعته تلك وتعمقه في فقه اللغة العربية وتدريسها، ومن مظاهر ذلك: ما تركه شيخنا من نصوص أدبية تنوعت بين الشعر والمُقامة، ويُعد حسن العطار أحد أهم علماء اللغة العربية في عصره، وذلك بعد أستاذه الشيخ محمد الدسوقي المُتوفى سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م). راجع: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة وتعلىق: د. شوقي ضيف، القاهرة: دار الهلال، [دون]، جـ٤، ص٢٣٢. وفي نماذج من أعماله الأدبية: المنتخب من أدب العرب، جمعه وشرحه: طه حسين وأحمد الإسكندري وأحمد أمين وآخرون، الذخائر، عدد ٦٧ و٦٩، جـ١ ص٢٤٢ و٢٩٥.

ومن تلك الوجهة نقول إنه كان لشيخنا العطار ميزة وفضل وإنه كان لمنهجه وطريقته في الكتابة أثر على العلماء ولغة البحث في مصر من بعده.

# المبحث الثاني
# مُناقشة الشيخ العطار في مسألة تطور الخلافة

## طبيعة الخلافة وأثرها على فكرة النيابة عند المسلمين

٩- كان من الطبيعي أن يميل الشيخ حسن العطار إلى آراء أستاذنا ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ/١٣٣٢-١٤٠٦م) في وجوب الخلافة وطبيعتها[٢١]، وكانت تلك الآراء تمهد للغاية من رسالة العطار، وكانت تجد سندها غالبا في مذهب الشافعية ولم يكن الأمر ينطوي على حرج كبير للشيخ العطار رغم انتمائه للمذهب الحنفي بالنظر إلى أنه لم يكن يلتزم في بعض المسائل بمذهب فقهي بعينه[٢٢].

(٢١) الخلافة أو الإمامة: خلافة النبوة في حفظ الدين وسياسة الدنيا والقائم بها خليفة لكونه يخلف النبى ويُسمي إمامًا تشبيهًا بإمام الصلاة في إتباعه. وهو التعريف الذي نقله العطار في مخطوطه عن عبد الرحمن بن خلدون. راجع: المقدمة، الإسكندرية: دار ابن خلدون، [دون]، ص١٣٤. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الإسكندرية: دار ابن خلدون، [دون]، ص٧.

(٢٢) تقرير الحالة الدينية، سابق الإشارة، ص٣٢.

## أولا: وجوب الخلافة.

نقل شيخنا العطار قول أستاذنا ابن خلدون في وجوب الخلافة فجعل أساس وجوبها: إجماع الصحابة والتابعين، وإجماع من بعدهم[٢٣]، والحق أن توقف الشيخ العطار عند الإجماع كان يعني أمرين، أولهما: أن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية في هذا الشأن هي سند الإجماع على وجوب الخلافة، وبذلك يكون الشيخ العطار قد نأى بنفسه عن الخلاف الذي وقع بين الفقهاء في هذه المسألة عندما لم يستدل بعضهم من النص القرآني والحديث النبوي على حكم صريح ومباشر في وجوب الخلافة في الوقت الذي نظر البعض إلى تلك النصوص باعتبارها أدلة قطعية على وجوبها[٢٤].

---

(٢٣) الإجماع: اتفاق المجتهدين من هذه الأمة في عصر من العصور على حكم شرعي. والصحابي عند الأصوليين: من طالت صحبته للنبي مُتتبعًا له مدة دون تحديد يثبت معها إطلاق صاحب فلان عارفًا.

والتابعي: من صحب الصحابي وقيل من لقي الصحابي وروى عنه وإن لم يصاحبه. راجع: أحمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ط٣، القاهرة: دار التراث، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩، ص١٦٢. محمد الخضري، أصول الفقه، القاهرة: دار الحديث، [دون]، ص٣١٤ و٢٦١-٢٦٢.

(٢٤) هذه النصوص مثل حديث «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»، وغيره مما سيأتي لا تنهض بدلالتها لتكون دليلًا مُستقلًا على وجوب الخلافة، وإنما هي دليل على وجوب طاعة الخليفة ومن يختارهم للولايات العامة، ويرى الشيخ عبد الوهاب خلاف أن اتفاق الفقهاء على حكم واحد لواقعة بعينها دليل وجود مُستند شرعي. راجع فيما سبق: د. صوفي حسن أبو طالب، تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد=

أما الأمر الآخر: فإنه وقد ثبتت الخلافة بالإجماع في كل عصر كان من اليسير على الشيخ العطار أن يتجاوز البحث فيما إذا وُجِد نموذج مُحدد لنظام الخلافة الإسلامية ونقصد بذلك نموذجًا يمكن أن نتخذه مقياسا للحكم على دول الخلافة وتقييم أعمالها.

ولقد وقر في الوعي والفقه السياسي للمسلمين أن تجربة الحكم في عصر الخلفاء الراشدين (١١٤١هـ/٦٣٣٦٦١م) هي نموذج الخلافة ومِثالها الأول، وقد لاحظ شيخنا العطار في مخطوطه مكانة الخليفة عمر بن عبد العزيز وكيف يُنعت بالخليفة الراشد الخامس، وذلك بسبب ما اشتهر به من العدل في الرعية والرحمة بهم على الرغم من أنه -رحمه الله تعالى- كان أحد خلفاء الدولة الأُموية وهي الدولة التي حكمت في سنوات (٤١١٣٢هـ/٦٦١٧٥٠م)[٢٥].

ولذلك نلحظ فارقا في المنهج، لأن شيخنا العطار لم ينقل تفسير الأستاذ ابن خلدون في «انقلاب الخلافة إلى الملك»، انتهى أستاذنا ابن خلدون في تفسيره إلى أن الخلافة احتفظت «بمعانيها» في عهد نفر من خلفاء بني

=العربية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص١٤٤-١٤٥. عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ط٨، القاهرة: مكتبة الدعوة الإسلامية، [دون]، ص٤٨. الخضري، سابق الإشارة، ص٣٢٥-٣٢٧. وفي الرأي المُخالف الذي يري أن السنة النبوية دليل مستقل على وجوب الخلافة، رشيد رضا، الخلافة، سابق الإشارة،

(٢٥) أسس الخلفاء الراشدون لنظام حكم لا يقوم على فكرة التوريث، واشترطوا في الخليفة شرطا يمكن قياسه بسهولة، وهو شرط الكفاءة، وهي خطوة مُتقدمة بمقاييس عصرهم.

أُمية وبني العباس[٢٦]، ولم تكن تلك الخلاصة لتسعف شيخنا العطار في رسالته، لأنه في سبيل دفاعه عن العثمانيين كان قد اندفع يُعدد مساوئ من سبقهم من خلفاء الدولتين الأُموية والعباسية.

وربما فسر لنا ذلك ملحظًا آخر بخصوص المنهج عند الشيخ العطار كان أستاذنا ابن خلدون قد تمسك بفكرة «التصالح» عندما كان يفسر الصراع الذي وقع بين الصحابة في مسألة الخلافة، أما شيخنا العطار فقد قام بتوظيف تلك الفكرة في غاية أخرى تدور فكرة التصالح عند الأستاذ ابن خلدون حول التماس العذر للصحابة في مواقفهم التي تتعلق بالخلافة والتعاطف مع الشيعة العلوية بالنظر إلى المِحن التي نزلت بهم بسبب مطالبتهم بمنصب الخلافة[٢٧].

أما الشيخ العطار قد أخضع فكرة التصالح المذكورة لمفهومه الخاص بانتقال الخلافة وزوال الدول، وتفصيل ذلك أن الخلافة عند شيخنا العطار لم تكن تُغتصب بالقوة على الرغم من تعاقب الدول والأسر الحاكمة عليها وأن الخلافة كانت تنتقل من دولة إلى أخرى بعد تطور اجتماعي وفي إطار شرعي مُحددين، ورغم ذلك الفارق في المنهج فإن

(٢٦) والمقصود بمعانيها عند ابن خلدون: «تحري الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق». راجع: المقدمة، سابق الإشارة، ص١٤٢-١٤٦.

(٢٧) المصدر السابق، ص١٤٤-١٤٦ و١٤٨-١٤٩ و١٥١-١٥٣. والعلويون: سائر فرق الشيعة التي حصرت الإمامة في ابناء الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه سواء كانوا أولاده من زوجته السيدة فاطمة رضي الله عنها أو من غيرها كما سيأتي.

فكرة التصالح على ذلك النحو كانت تجمع بين الأستاذ ابن خلدون وشيخنا العطار في معسكر واحد، وذلك لأنها كانت تعبر عن العقيدة السائدة بين أهل السنة من جهة وكانت تتسم بالمرونة وتخضع للتطويع وفقا للميول السياسية من جهةٍ أخرى[٢٨].

## ثانيا: طبيعة الخلافة.

نقل شيخنا العطار عن الأستاذ ابن خلدون طرق انعقاد الخلافة سواء كانت بطريقة الاختيار والبيعة أو كانت بطريقة الاستخلاف أو ولاية العهد[٢٩].

في الطريقة الأولى كانت البيعة هي الإجراء التالي لعملية الاختيار، وتنعقد بها الخلافة وتحدث إجراءات الاختيار والبيعة للخليفة على يد «أهل الحل والعقد»، وهكذا ينحصر الأمر بين طرفين هما، أهل الحل والعقد

---

**(٢٨)** استقر أكثر أهل السنة على أن الصحابة كانوا متأولين أي أنهم اجتهدوا في مسألة الخلافة وأن الخلفاء الراشدين الأربعة أفضل من سائر الصحابة ثم يتفاضل هؤلاء الخلفاء فيما بينهم وفقًا لترتيب خلافتهم، يأتي أبو بكر على رأسهم ثم عمر ثم عثمان ثم الإمام علي بن أبي طالب. راجع: حافظ بن أحمد حكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تحقيق: عبد الله المنشاوي، المنصورة: مكتبة الإيمان، [دون]، ص١٠٤-١١٢. حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي، كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، ص١٥٢-١٥٤.

**(٢٩)** وسنتحدث لاحقا عن الفارق بين الاستخلاف بمعناه الدقيق وبين ولاية العهد، ويُقصد بالبيعة: العهد على الطاعة إذ يجعل المُبايع يده في يد الأمير المُبايَع كما يفعل البائع والمشتري في عقد البيع، فسُمي بيعة ومنه قيل: أيمان البيعة. راجع: ابن خلدون، المقدمة، سابق الإشارة، ص١٤٧.

والخليفة وتحديد طبيعة الخلافة على ذلك النحو هو مذهب أكثر فقهاء الشافعية وهو التخريج الذي يجعل من الخلافة «عقدا» ينعقد بين أهل الحل والعقد وبين الخليفة، وكما تلاحظ عزيزي القارئ فإنه يترتب على حصر أطراف العقد على ذلك النحو نتيجة هامة، وهي أن بيعة الخليفة التي يقوم بها عامة المسلمين تصبح غير لازمة[٣٠].

وأود أن أُصارحك عزيزي القارئ بنقطة الضعف في ذلك التخريج وهو أنه لا يوجد لدينا دليل على وجود هيئة لأهل الحل والعقد في الواقع وأنها كانت تقوم باختيار الخليفة وبيعته ومُحاسبته.

وخلاصة القول المُحقق في أهل الحل والعقد إنهم كانوا «النُخبة» أو «الصفوة» من الحكام والعلماء والتجار، الأمر إذن لم يكن يتعلق بهيئة تتمتع بتنظيم مُحدد وإنما بطبقات وفئات تتمتع بالنفوذ الاجتماعي والسياسي في المجتمع، ولذلك فقد وصفهم بعض أساتذتنا بأنهم «ذوي العلم والرياسة والجاه بين المسلمين»[٣١].

السؤال المنطقي: هل يمكن النظر إلى تلك النخبة بأنهم كانوا وكلاء مُفوضين عن عامة المسلمين، وأن المسلمين كانوا قد اختاروهم للنيابة

(٣٠) ويُطلق على أهل الحل والعقد أيضا «أهل الشورى» و«أهل الاختيار». راجع فيما سبق: ابن خلدون، سابق الإشارة، ص ١٣٥. الماوردي، الأحكام السلطانية، سابق الإشارة، ص٧-١٠.

(٣١) راجع: د. صوفي أبو طالب، تطبيق الشريعة، سابق الإشارة، ص١١٤-١١٥.

عنهم في اختيار الخليفة وبيعته؟ تلك كانت الإشكالية التي ستلاحظ أثرها في السطور التالية عندما كان على الفقهاء أن يبحثوا عن تصور آخر في مسألة اختيار الخليفة في الوقت الذي كانت آفة الانقسام والصراع السياسي قد انتشرت في العالم الإسلامي.

كانت تلك الأوضاع السياسية المتدهورة قد ساهمت في تبلور واستقرار اتجاه مُحدد بين الفقهاء المُتأخرين وهو الاتجاه نحو تقليص العدد المُعتبر من أهل الحل والعقد في اختيار وبيعة الخليفة، أما مُبرر التقليص فهو الحرص على عدم التأخر في تنصيب الخليفة وهو أمر يأثم به المسلمون جميعا[٣٢]، وهنا نلحظ ميل شيخنا العطار إلى الأستاذ ابن خلدون عندما ذهب إلى انعقاد البيعة لخليفة المسلمين بواسطة «جمهور» أو «أغلب» أهل الحل والعقد، وهكذا لم يعد من اللازم عندهما حصول الإجماع بين أهل الحل والعقد في هذا الشأن[٣٣].

(٣٢) بالنظر إلى أن الخلافة فرض كفاية وهو الفرض أو الواجب الذي يلزم حصوله أو القيام به دون النظر لفاعله، فإذا لم يأت به أحد من المسلمين: فإن الإثم يشملهم جميعا. راجع: الخضري، أصول الفقه، سابق الإشارة، ص٤٦.

(٣٣) ابن خلدون، المقدمة، سابق الإشارة، ص ١٤٩-١٥٠.

ولذلك حكى شيخنا العطار عن معارضة أهل بيت النبي -عليه السلام- وجماعة من الصحابة لخلافة عثمان بن عفان، وتكلم عن اختلاف الناس على خلافة الإمام علي بن أبي طالب من بعده[٣٤].

وقد اتخذ شيخنا من تلك المعارضة دليلا على عدم حصول الإجماع بين أهل الحل والعقد عندما كانوا يقومون باختيار اثنين من الخلفاء الراشدين الأربعة.

وهنا أحدثك عزيزي القارئ عن الإشكالية التي أشرنا إليها والتي نشأت عن قولهم بتقليص العدد المُعتبر من أهل الحل والعقد في اختيار وبيعة الخليفة:

i. كان الفقهاء يستندون إلى فكرة النيابة أو التفويض وهم يتحدثون عن مهام أهل الحل والعقد في مسألة الخلافة وهو حديث عن نيابة أو تفويض صدرت من المسلمين إلى أهل الحل والعقد بغرض اختيار وبيعة الخليفة.

---

(٣٤) مخطوط العطار، ص١٢-١٣ و١٦-١٧، وراجع: د. صوفي أبو طالب، تطبيق الشريعة، سابق الإشارة، ص١٠٦-١٠٧. ابن خلدون، سابق الإشارة، ص١٥٠.=

=وأهل البيت هم: نساء النبي --عليه السلام-- وأهله الذين هم أهل بيته، ويدخل فيهم - فيما ذكره الصحابي زيد بن أرقم- أصله وعصبته من آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس. راجع: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، القاهرة: دار الريان للتراث، [دون]، جـ٨، ص٥٢٦٤. محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، ط١، خرج أحاديثه: صلاح عويضة، راجعه: محمد شحاته، المنصورة: مكتبة فياض، ١٤١٨هـ،١٩٩٨، جـ١٥، ص٥٢٢-٥٢٣.

ii. ولقد افترض الفقهاء ذلك التفويض افتراضا لأنه لم يصدر من المسلمين في الواقع وكان سندهم في افتراضه هو أن أهل الحل والعقد يتمتعون بالشروط الأساسية التي يجب توافرها في أصحاب «الولاية العامة» أو من يقوم بشأن عام من شئون المسلمين، أما شروط الولاية العامة فهي: العدالة والعلم والرأي.

وإضافةً إلى ما تقدم فإن الاتجاه نحو تقليص العدد المُعتبر في أهل الحل والعقد كان قد تفرع عنه إشكالية أخرى، لقد ترتب عليه المساس بخصوصية عقد الخلافة كيف نتحدث عن نظام للحكم ونخضعه في ذات الوقت لأحكام عقد الزواج أو البيع! وكيف نتوصل بذلك إلى القول بانعقاد الخلافة باثنين من الشهود! إننا نتحدث في الخلافة عن «علاقات سلطة» تنتمي إلى القانون العام هل يصح أن تخضع تلك العلاقات للفلسفة التي يخضع لها الأفراد في معاملاتهم الخاصة[٣٥]، ولذلك سنلحظ فيما سيأتي كيف اضطر الفقهاء إلى استثناء عقد الخلافة من بعض أحكام العقود وهو ما يُشير إلى إقرار الفقهاء بالطابع المُتميز لعقد الخلافة تحت تأثير الواقع والضرورة.

(٣٥) تنعقد الخلافة بثلاثة يتولاها أحدهم ويكون الآخرين شاهدين قياسًا على الزواج وتنعقد بواحد قياسا على حكم القضاء. راجع: الماوردي، الأحكام السلطانية، سابق الإشارة، ص٨-٩. القرطبي، سابق الإشارة، جـ١ ص٢٣٠. رشيد رضا، الخلافة، سابق الإشارة، ص٢٠.

بالطبع يمكنك عزيزي القارئ توقع بعض التناقضات التي تسببت فيه تلك الإشكالية الأخيرة واسمح لي أن ألخص الآراء التي عرضت لها حالا وقولهم إنه ليس هناك عدد بعينه لأهل الحل والعقد وإن هذا العدد يزيد وينقص تبعًا لعصبية الخليفة وأهل شوكته، كما سيتضح لك في ختام هذا المبحث[36].

وما خطه الأستاذ ابن خلدون في مقامنا هذا كان الشيخ الماوردي (٣٦٤-٤٠٥هـ/٩٧٤-١٠١٤م) قد سبقه فألبسه مظهرا فقهيا، وذلك عندما صرح بانعقاد الخلافة ببيعة أهل الحل والعقد الحاضرين في بلد الخليفة، وعضَّد الشيخ الماوردي قوله بما وقع في بيعة الخليفة أبي بكر الصديق[37]، ويبدو أن الشيخ الباقلاني المُتوفى (٤٠٣هـ/١٠١٣م) كان أسبقهم جميعا، بل وكان أكثرهم وضوحًا في تلك المسألة، وخلاصة قوله إنه لا دليل عنده على اشتراط وجوب عدد مُعين لأهل الحل والعقد وإن جمعهم في صقيع واحد أو مكان بعينه هو أمر مُتعذر[38].

## ثالثا: طبيعة الاستخلاف.

(٣٦) ابن خلدون، المقدمة، سابق الإشارة، ص١٤٩.

(٣٧) الماوردي، سابق الإشارة، ص٨.

(٣٨) ذكر الباقلاني أنه لم يُراع جمع سائر أهل الحل والعقد في اختيار الخلفاء الراشدين ولذا تنعقد الخلافة عند الباقلاني بواحد، فيعقدها لآخر وتنعقد بجمع حاضر. راجع: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، ضبطه وقدم له وعلق عليه: محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة: دار الفكر العربي، [دون]، ص١٧٨-١٧٩ و٢٠١.

وكلام شيخنا العطار في الاستخلاف باعتبارها طريقة أخرى من طرق اختيار الخليفة وإن كان مُجملا إلا أنه لم يخرج عن رأي الأستاذ ابن خلدون، لقد انعقدت خلافة عمر بن الخطاب «باستخلاف أبي بكر له» وبذلك يكون قد حصل الإجماع بين الصحابة في ذلك الوقت على طريقة الاستخلاف، وقد اتخذ شيخنا العطار من ذلك الإجماع أساسا عندما صرح بأن الخلافة تنتقل بين الخلفاء العثمانيين وأنهم «يتداولونها بالإرث» عن طريق الاستخلاف.

وهكذا ينعقد الاستخلاف نافذا ومُلزما بين كل من الخليفة وولي عهده ولو كان ولي العهد ولدا للخليفة أو كان والدا له[٣٩]، والمصلحة في انعقاد الاستخلاف نافذا ومُلزما عند أكثر الفقهاء واضحة وهي الحيلولة دون اختلاف المسلمين وفُرقتهم[٤٠].

وهنا أرجو عزيزي القارئ أن تلاحظ الفارق بين الاستخلاف الذي شهده عصر الخلفاء الراشدين وبين الاستخلاف الذي عرفته دول الخلافة اللاحقة:

---

(٣٩) ابن خلدون، المقدمة، سابق الإشارة، ص ١٤٧-١٤٨. الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، سابق الإشارة، ص ١٤٩.

(٤٠) ويُقصد بنفاذه: إنه غير موقوف على إجازة أهل الحل والعقد أو بيعة المسلمين. ويُقصد بلزومه: إنه لا يستقل أحد طرفيه بفسخه. راجع فيما سبق: ابن خلدون، سابق الإشارة، ص ١٤٧-١٤٨. الماوردي، الأحكام السلطانية، سابق الإشارة، ص١٢، و١٥.

i. أما استخلاف أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب فقد كان ترشيحا له لا يُستغنى به عن البيعة، ومن هنا كان الحرص على التوثق من حصول البيعة لمن رشِّحَ إلى منصب الخلافة والإلحاح في طلب تلك البيعة من كبار الصحابة وهو ما نلاحظه في بيعة عمر ثم بيعة عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث من بعد الفاروق عمر.

ii. وأما الاستخلاف الذي أسسته الخلافة الأُموية واستمر فيما بعد: فقد كان أمرا مختلفا، كان في حقيقته مبدأ نظام «ولاية العهد» وتحولت بيعة الخليفة الجديد بسببه إلى إجراء شكلي في أغلب الأحوال ولقد تأثرت آراء الفقهاء من بعده فأحاطوا نظام ولي العهد ببعض الأحكام، وكانت المصلحة سندهم بل ودأبهم في كل موضع كان مقصدهم فيه تجنب اختلاف المسلمين وانقسامهم[٤١].

سنعود إلى شيخنا العطار لنلاحظ كيف أنه في هذا الموضع الذي نبحثه كان قد صرف عنايته إلى بيان شرعية الخلافة العثمانية، ولهذا السبب

(٤١) أحاط الفقهاء نظام ولاية العهد ببعض الأحكام فاستثنوه بذلك من بعض القواعد التي تنطبق على العقود الخاصة. ومن ذلك أنه لا يجوز للخليفة عزل ولي عهده ما لم يتغير حاله وأنه لا يجوز لولي العهد الاستعفاء ما لم يوجد غيره. ابن خلدون، سابق الإشارة، ص١٤٧-١٤٨. الماوردي، سابق الإشارة، ص١٢و١٥.

فقد توقف عند الطريقة التي انتقلت بها الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان وتأسست بها دولة الخلافة الأُموية.

ومن اليسير أن نكتشف هدف الشيخ العطار من تلك الوقفة ولماذا كان يُطابق بين خلافة بني أُمية وخلافة العثمانيين:

i. لقد خرج الإمام الحسن بن علي عن الخلافة، أي إنه تنازل عنها إلى معاوية بن أبي سفيان (٤١هـ/٦٦١م) وتولاها من بعده الخلفاء من بني أمية إلى أن زالت دولتهم.

ii. أما العثمانيون فقد انتقلت إليهم الخلافة بالتنازل الذي صدر من آخر الخلفاء العباسيين وهو الخليفة الذي كان بالقاهرة عندما دخلها الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم الأول (٩٢٣هـ/١٥١٧م) وإنه قام بالتنازل عن منصبه وبايع السلطان سليم فانتقلت الخلافة إليه[٤٢] وأصبح منصب الخلافة إرثا يتداوله العثمانيون واحدا بعد الآخر.

عزيزي القارئ، أما القول بجواز عزل الخليفة لنفسه فإنه يلتقي مع قول أكثر الفقهاء، وأما دليلهم فهو المصلحة، وظاهره أنه يحول دون

(٤٢) مخطوط العطار، ص١٣ و١٨ و٢٥. أما آخر الخلفاء العباسيين بالقاهرة فهو الخليفة

المتوكل الثالث بن المستمسك، وكان قد تولى الخلافة في العام (٩٢٣هـ/١٥١٧م)، وقد أدركه السلطان طومان باي آخر سلاطين المماليك، قاد طومان باي آخر الحروب ضد الغزو العثماني قبل أن يتمكن منه العثمانيون ويُعدم شنقا على باب زويلة.

تعدد الخلافة في عصر واحد، وقد ساق هؤلاء دليل الإجماع للقول بأن تعدد الخلافة في عصر واحد أمر غير جائز[٤٣].

هل تتذكر عزيزي القارئ حديثي السابق عن التناقض الذي توقعنا حصوله في هذا الأمر؟ سنبدأ بملاحظة إجازة عزل الخليفة نفسه وهو ما نعبر عنه في المُصطلح القانوني بالاستقالة:

i. لدى الفقهاء أكثر من تخريج لهذه المسألة، قد يكون عزل الخليفة نفسه أحد الاستثناءات التي خضع لها عقد الخلافة وتميز بها عن سائر العقود ويجوز إخضاع المسألة لأحكام عقد الوكالة الذي يجيز للوكيل عزل نفسه[٤٤]، وقد يُقال إن التخريج الثاني يأتي على حساب الخصوصية التي ينبغي أن يتمتع بها عقد الخلافة.

ii. ومع ذلك فإن ثمة جانب إيجابي ينبغي الالتفات إليه وهو الحديث عن فكرة الوكالة التي أصبحت تجمع بين المسلمين والخليفة، ويمكننا أن نعيد صياغة المسألة على ضوء مذهب

(٤٣) لا يجوز إجبار الخليفة على الاستمرار في منصبه، ولذلك أجازوا له عزل نفسه، لأن نيابته عن جماعة المسلمين تجعله بمنزلة الوكيل. راجع في ذلك: الماوردي، الأحكام= =السلطانية، سابق الإشارة، ص ٩. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، سابق الإشارة، جـ١ ص٢٣٣-٢٣٤.

(٤٤) راجع على سبيل المثال: ابن خلدون، سابق الإشارة، ص١٤٧-١٤٨. الماوردي، الأحكام السلطانية، سابق الإشارة، ص١٢و١٥.

الشافعية الذي مال إليه شيخنا العطار في مبدأ الخلافة، يبدأ الأمر بانعقاد الخلافة بين أهل الحل والعقد والخليفة ولمَّا كان تنصيب الخليفة يحدث لمصلحة المسلمين فإن الخليفة يصبح وكيلا عنهم في إدارة شئونهم فور توليه منصب الخلافة.

١٠ هل تسمح لي عزيزي القارئ ببعض التأملات والملاحظات؟ إن الحديث عن جواز التنازل عن الخلافة يترتب عليه إنكار أي دور لأهل الحل والعقد في اختيار الخليفة الجديد، ومعنى ذلك أن فكرة أهل الحل والعقد كانت قد تعرضت للاهتزاز، وعلى وجه الخصوص التشكيك في التفويض أو الوكالة التي افترض الفقهاء صدورها من عامة المسلمين إلى أهل الحل والعقد.

وهكذا تحدث عملية التنازل بعيدا عن أي اختيار أو تفويض من خاصة المسلمين أو من عمومهم، ولا سيما منذ أواخر القرن ٣هـ /٩ م عندما أصبح «الغصب والجبر والاستيلاء» أداة الوصول إلى السلطة والاحتفاظ بها سواء على مستوى الولاية الكبرى وهي الخلافة أو الولايات العامة الأدنى مرتبة[٤٥].

(٤٥) ولذلك يُطلق على الولايات العامة الأدنى مرتبة: ولايات أو إمارات الاستيلاء وهي الولايات التي نشأت جبرا عن الخليفة نفسه، ومنها أن يسيطر أحد الأمراء على السلطة في إقليم مُحدد ويستقل به إداريا وماليا عن دولة الخلافة، ومن ذلك إمارة الطولونيين والأخشيديين في مصر، بينما كانت مصر قبل الطولونيين تخضع لما عُرِف باسم ولاية الاستكفاء وهي الولاية التي تُسند إلى ولاة يختارهم الخليفة أو الوزير المُفوض.

وفيما يتعلق بالخلافة فقد انتهى الأمر في الواقع والحقيقة بنوع مُحدد من الخلافة هو «خلافة القوة» تلك الخلافة التي أُحيطت بمجموعة من الإجراءات الشكلية أو المراسم والتي كانت بيعة الخليفة أحد تلك الإجراءات.

عزيزي القارئ، أكاد أسمعك تعلق على التطورات السابقة فتقول: «أي تنازل نتحدث عنه وأي اختيار ورضا نبحث فيه؟! هل يصح الحديث عن تنازل صدر من آخر الخلفاء العباسيين بعد أن تمكن العثمانيون من الاستيلاء على مصر وبسط سلطانهم على الأقاليم التي كانت تخضع لسلطة المماليك؟ وبعد أن سقط ذلك الخليفة أسيرا لا حول له ولا قوة في قبضة السلطان سليم الأول؟».

السؤال هو كيف تعامل الشيخ العطار مع ذلك التطور الذي خضعت له الخلافة؟ اسمح لي أولا أن أسوق لك كلام الشيخ العطار وهو يواجه هذا التناقض لم يتوقف شيخنا عند رأيه في التنازل الذي انتقلت به الخلافة للعثمانيين وأضاف شيخنا إلى ذلك التنازل حصول البيعة للخلفاء العثمانيين من «الكافة لهم واحدا بعد واحد» وبذلك استكمل شيخنا مهمة المُطابقة بين الخلافتين العثمانية والأُموية لأنه أشار من قبل إلى اتفاق «الجماعة على بيعة معاوية»[٤٦].

(٤٦) مخطوط العطار، ص١٣ و٢٥.

إن بيعة أهل الحل والعقد لم تكن لازمة في نشأة الخلافتين الأُموية والعثمانية لأن الخلافة كانت قد انعقدت بالفعل بالتنازل وإن الواقع ليشهد أيضا بعدم لزومها في اختيار الخلفاء اللاحقين وإنه كان يُحصل عليها تارةً بالترغيب وتارةً بالترهيب، السؤال إذن لماذا الإصرار على بيعة أهل الحل والعقد للخليفة رغم أنها أصبحت مجرد إجراء شكلي وغير لازم؟!

إليك عزيزي القارئ المفاجأة التالية، لقد سبق وقدم الشيخ أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ/١١١١م) إجابةً على هذا السؤال، لدينا إذن إجابة فقهية سبقت شيخنا العطار بعدة قرون كان الشيخ أبو حامد الغزالي يرى أن بيعة أهل الحل والعقد غير لازمة ومع ذلك فإنها «ذريعة» أي: وسيلة لقطع الخلاف بين المسلمين وإبعاد الشُبهة عن الخلافة[٤٧].

هل لاحظت عزيزي القارئ كيف أن تلك الإجابة كانت أثرا للأزمة الشرعية التي أحاطت بالخلافة بعد عصر الخلفاء الراشدين وذلك منذ أن أصابتها آفة التوريث وبعد أن عصفت بها آلة الغصب والجبر والاستيلاء، ولذلك ربما كان على الشيخ العطار أن يتبنى وجهةً أفضل للدفاع عن خلافة العثمانيين في عصره.

كان ينبغي على شيخنا العطار أن يلتفت عن واقعة تاريخية لم تثبت وهي واقعة تنازل آخر الخلفاء العباسيين عن منصبه إلى السلطان

(٤٧) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، سابق الإشارة، ص١٥٠-١٥٢.

العثماني سليم الأول وأن يعود بالزمن إلى السنوات القليلة التي سبقت مولده -أي مولد شيخنا العطار نفسه- عندما لجأ العثمانيون في تلك السنوات إلى فكرة التوظيف السياسي للخلافة لم يبتكر العثمانيون تلك الفكرة لأن سلاطين المماليك سبق لهم وأن جهروا بفكرتها وغرسوا بذرتها في الواقع السياسي للمسلمين[٤٨].

تتلخص فكرة التوظيف السياسي للخلافة في وجود سلطة قامت على الاستيلاء أو القوة وتواجه مأزق الشرعية ولقد اضطر العثمانيون إلى البحث عن شرعية تمكنهم من الاحتفاظ بسلطتهم على المسلمين ولا سيما في ولايات أوروبا، كانت تلك ولايات ذات أغلبية مسيحية وتشتعل بالثورات وفي طريقها إلى الاستقلال عن السلطنة العثمانية في الوقت الذي كانت تعيش فيها مجموعات سكانية من المسلمين لديهم أموالهم وبيوتهم ومساجدهم.

---

(٤٨) كانت نهاية الخليفة العباسي المُستعصم بالله، سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) بعد سقوط بغداد على يد التتار، وقد راودت فكرة إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة بعض الأمراء= =في الشام ومصر، وتمكن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس من إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة في العام (٦٥٩/١٢٦١م)، عندما بُيع الأمير أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر العباسي بالخلافة ولُقِّب بالخليفة المستنصر بالله واتخذوا له من قلعة صلاح الدين بالقاهرة مقرا، كان سلاطين المماليك يحصلون على منصبهم ويبسطون نفوذهم بالغصب والقوة ولذلك سعوا إلى إكساب سلطتهم الشرعية، ولذلك كان على الخليفة العباسي بالقاهرة أن يعترف رسميا لكل سلطان مملوكي، بسلطانه على الأقاليم التي يحكمها.

وكان يمكن لشيخنا العطار فيما لو سلك ذلكم المسلك أن يُقارن حاضر العثمانيين الذي أدركه بماضيهم الذي أفاض في بيان محاسنه، أما الحاضر الذي أدركه شيخنا فقد كان يكشف بجلاء عن دولةٍ شاخت تستجدي قدرا من الشرعية عن طريق ادعاء الخلافة، أما ماضيها فقد تحدث عنه شيخنا وكيف نهض العثمانيون لعدة قرون بالكثير من مهام الخلافة وكيف أنهم حافظوا على وحدة المسلمين السياسية ومُقدساتهم الدينية وثغورهم[٤٩].

كان الشيخ العطار يشير بتلك المحاسن العثمانية إلى شرط «الكفاية»، وهو الشرط الذي أجمع جمهور الفقهاء على وجوبه في الخليفة كما سنرى.[٥٠]

وحديث شيخنا عن المحاسن العثمانية فيه بعض الصحة عندما نطبقه على القرون الأولى من الحكم العثماني قبل أن تُنكب شعوبنا على أيديهم بنظام الامتيازات والحماية الأجنبية وقبل أن يعجزوا عن

(٤٩) مخطوط العطار، ص٢٥-٢٧.

(٥٠) وقد عبر عن ذلك متأخرو الأحناف فقالوا بصحة خلافة العثمانيين لاجتماع حقوق الخلافة وأولها حق السيف، وذلك لأنه لم يكن أحد ليقوى على مواجهتهم على الأرض، فضلًا عن حمايتهم للحرمين الشريفين. راجع فيمن نقل ذلك أستاذنا المناضل محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة: مكتبة الآداب، [دون]، ص٧٥-٧٦.

صد موجات الاستعمار الغربي على بلادنا، ونضيف أن حديثه عن محاسن العثمانيين لم يسلم من المُبالغة ولم يخل من الفائدة:

i. لقد تحامل شيخنا على الخلفاء العباسيين عندما اتهمهم بالمسئولية عن تعدد وانتشار الفرق والبدع في مجال العقيدة متجاهلا ما بذلوه من جهد في هذا المجال، وعندما لم يلتفت إلى ازدهار حركة العلوم والآداب والفنون والفقه في القرن الأول من خلافة العباسيين، نقول تحامله لأن ذلك القرن كان واسطة العقد ودُرته فيما نعرفه في تاريخنا باسم «الحضارة الإسلامية».[٥١]

ii. ولقد قدم شيخنا كشف حساب مُوجز لمساوئ دول الخلافة بعد عصر الخلفاء الراشدين وما جرى على يدهم أو يد أعوانهم

---

(٥١) والحق أن العباسيين بذلوا جهودًا للرد على بعض الفرق وبدعها أو مخالفتها للدين، ومن ذلك: استعانتهم بالمعتزلة لتلك الغاية. راجع: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة: دار الفكر العربي، [دون]، ص١٥٩. وأيضًا لنفس المؤلف: الدعوة إلى الإسلام، القاهرة: دار الفكر العربي، [دون]، ص٦٤-٦٦. ولا يُفهم من ذلك أن الحضارة الإسلامية كانت حضارة المسلمين وحدهم، وإنما نصفها بالإسلامية لأنها نشأت في العالم الإسلامي ولغتها العربية، ولا يوجد أدنى شك أنها كانت من صنع المسلمين وغير المسلمين، وأنه كان لغير العرب نصيبًا بارزًا فيها، وأن تلك الحضارة أثرت في حضارات الغرب الأوروبي في مجالات شتى حتى منتصف القرن الـ١٩م.

من السوء في أمر الدين والدنيا، واشتمل كشف الحساب على سجل طويل جاء فيه التعريض بأهل بيت النبي -عليه السلام- والتنكيل بالمعارضين قتلا وذبحا وسجنا ونفيا، وأذية الصحابة الكرام والتابعين، واستباحة المدينة المنورة، وهدم الكعبة المُشرفة الاجتراء على أمهات المؤمنين، ووضع الأحاديث النبوية، وتعذيب بعض أئمة المذاهب الفقهية الكبرى أمثال أبي حنيفة ومالك بن أنس.

iii. ويقطع كشف الحساب هذا بالنقص الذي أصاب دول الخلافة الإسلامية بعد عصر الخلفاء الراشدين وبالمسئولية عن تفرق المسلمين وانقسام دولتهم وتعدد دول الخلافة في عالمهم والعجز عن حماية ثغورهم ومقدساتهم.

١١ وأود أن أتوقف معك عزيزي القارئ عند النقص الذي أصاب نظام الخلافة وأن تضع يدك على أهم موضعين في ذلك النقص.

أما أولهما: فهو آفة التوريث التي سيطرت على منصب الخلافة وتحول البيعة فيه إلى إجراء شكلي.

وأما موضع النقص الثاني: فهو التخفف من الشروط الأساس المُعتبرة في الخليفة كما سنلاحظه بعد قليل.

ولن تستكمل هذه الوقفة فائدتها عزيزي القارئ إلا بتذكِرتين أُذكرك في الأولى بمنهج شيخنا العطار وكيف أنه تجنب الحديث عن نموذج مُحدد

لنظام الخلافة، نموذج يُمكن الاحتكام إليه في شأن دول الخلافة والقياس عليه لتقييم الأعمال الصادرة عنها.

وأُذكرك في الثانية بدليل «المصلحة» التي اتخذها الفقهاء سندا في كل موضع يُخشى منه حصول النزاع والخلاف والفُرقة بين المسلمين، ولقد تفرع عن المصلحة في هذا الموضع واحدة من أخطر القواعد الفقهية في الفقه السياسي الإسلامي، وهي القاعدة التي يُعبر عنها بأكثر من طريقة: «اختيار أقل الضررين أو أخف المفسدتين أو أهون الشرين».

تخيرك تلك القاعدة بين ضررين: خلافة ناقصة من ناحية، وانقسام وفرقة بين المسلمين من ناحيةٍ أخرى، أما الصياغة الحقيقية لتلك القاعدة فهي: الاختيار بين الاستبداد من جهة والفوضى من جهةٍ أخرى، وتصلح تلك القاعدة تماما في معاملات الأفراد وشأنهم الخاص غير أنها في الشأن العام لا تنطوي على أي خيار في الواقع عندما تصبح القوة سبيلا للسلطة، أضف إلى ذلك أنها جعلت من طاعة السلطة المُستبدة واجبا شرعيا ومن مُعارضتها إثما دينيا.

عزيزي القارئ: سنعود إلى حديث شيخنا العطار عن مساوئ دول الخلافة وكشف الحساب المُوجز الذي نقلته إليك، لقد وقع شيخنا في بعض التناقضات عندما تحامل بشدة على العباسيين وعندما كان يُعدد مساوئ دول الخلافة بعد عصر الخلفاء الراشدين أول تلك التناقضات: تصريحه بالعداء تجاه الفلاسفة وأهل المنطق ممن أدركوا دولة الخلافة العباسية وعبارته التي لم تخل من التلميح عندما صرح

باسم " بختيشوع " وأمثاله من الحكماء والأطباء غير المسلمين الذين كانوا موضع ترحيب وتكريم من الخلفاء العباسيين!

ومظهر التناقض الذي وقع فيه شيخنا أن موقفه من الفلسفة والمنطق يتعارض مع آرائه الإصلاحية وبحثه في أكثر من علم وفن في عصره [٥٢]، وأنه كان الأولى به أن يُميز الحركة العلمية والأدبية والفنية التي عرفها المسلمون خاصةً في العصر العباسي الأول ولا يخلط بينها وبين المساوئ التي كان يحصيها على دول الخلافة بعد انقضاء دولة الخلافة الراشدة.

ماذا يمكن أن نضيفه فيما يتعلق بواقعة التنازل عن الخلافة إلى السلطان العثماني سليم الأول والتي تمسك بها شيخنا العطار؟ لدينا زاوية أخرى تسمح لنا بتوجيه بعض النقد إلى منهج العلماء الذين بالغوا في الدفاع عن شرعية ومحاسن الخلافة العثمانية:

i. إن المُطابقة بين الخلافتين الأُموية والعثمانية لا تخلو من العيوب لأن واقعة تنازل الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ليست محل خلاف بين الرواة بينما لا يوجد لدينا دليل على تنازل آخر الخلفاء

(٥٢) سبق ولاحظنا تناقض شيخنا في موقفه من المرأة، وفي هذا الموضع نلاحظ تلك «الثنائية» عندما انحاز إلى فكرة تقسيم العالم إلى «دار إسلام ودار كفر»، بينما كان= =يجهر بانبهاره بحضارة الغرب الأوروبي، وكذلك يدافع عن اتجاهات الإصلاح في الدولة العثمانية وهي الاتجاهات التي كانت تنهل من تقنيات الغرب وقوانينه.

العباسيين عن الخلافة إلى السلطان العثماني سليم الأول[٥٣].
لقد صحبه السلطان سليم الأول وهو في رحلة العودة إلى الآستانة بعد غزو مصر وانقطعت أخبار الخليفة العباسي بعد ذلك.

ii. ولا توجد إجابة عند شيخنا العطار عن نظام التوريث الذي خضع له منصب الخلافة منذ دولة الخلافة الأُموية، لقد اشترط الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب شرطا بعينه عندما تنازل عن الخلافة، وخلاصة شرطه أن يعود منصب الخلافة شورى بين المسلمين، بمعنى أن يكون هناك ترشح للمنصب وتنتهي الإجراءات بالبيعة على النحو الذي عرفه المسلمون في عصر الخلفاء الراشدين، وهو الشرط الذي لم يُوفَ به عندما انتقل منصب الخلافة بالإرث من معاوية بن أبي سفيان إلى ابنه يزيد ثم إلى خلفاء بني أُمية من بعدهما.

iii. ولم تكن فكرة التوريث غريبة عن نظم العثمانيين السياسية، لقد ترسخت فكرة التوريث لديهم منذ مطلع القرن الـ١٧م

(٥٣) راجع في ذلك: د. عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، سابق الإشارة، ص٨٦-٨٧. د. محمد نور فرحات، التاريخ الاجتماعي للقانون في مصر الحديثة، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢٤-٢٦.

وبخصوص أعلى الولايات السلطانية عندما قاموا بتنظيم انتقال منصب السلطان بين الأمراء العثمانيين وتضمن قانون وراثة العرش عندهم، النص على انتقال عرش السلطنة إلى أكبر الأبناء الذكور من ذرية عثمان بن أرطُغُرل.[٥٤]

## العصبية وشرط القرشية في الخليفة

١٢- أصاب العطار من ناحية المنهج عندما استبق حديثه عن شرط القرشية في الخليفة بمسألة منطقية وذلك عندما اعترض على مذهب الشيعة الإمامية في الإمامة أو الخلافة[٥٥]، وقد نقل شيخنا العطار عبارات الأستاذ ابن خلدون حرفيا في هذه المسألة وتشكيك ابن خلدون في أدلة الشيعة الإمامية وفي قولهم إن النبي -عليه السلام- كان قد أوصى بالخلافة إلى الإمام علي بن أبي طالب[٥٦].

(٥٤) د. محمد نور فرحات، التاريخ الاجتماعي للقانون، سابق الإشارة، ص٢٨،٢٦.

(٥٥) القرشية: من قريش التي انتهت إليها السيادة في مكة على يد قصي بن كلاب، وينتهي نسبه إلى النضر بن كنانة، وقيل إن قريش هو لقب النضر، وقد غلبت على مكة عشر جماعات من قريش على رأسها بنو عبد مناف، وإليها ينتسب بنو أمية وبنو هاشم، وإلى بني هاشم ينتسب بنو طالب، والشيعة الإمامية: هم من تشيعوا للإمام علي بن أبي طالب وحقه في الخلافة، واختلفوا من بعده على خلافة بنيه محمد بن الحنفية والحسن والحسين. راجع تفصيلًا: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت: دار الكتب العلمية، [دون]، ص١٤٤ و١٥٣-١٦٣ و١٦٦-١٦٧ و١٧١-١٧٦.

(٥٦) ابن خلدون، المقدمة، سابق الإشارة، ص ١٣٨ وما بعدها. وراجع تفصيلا: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، سابق الإشارة، جـ١ ص٢٢٦-٢٣٠.

كان شيخنا العطار مُحقا في اعتراضه على اشتراط النسب القرشي في الخليفة، لماذا؟ لأنه كان يدافع عن شرعية الخلافة العثمانية ولا يستقيم من جهة المنطق أن يتبنى رأي الشيعة الإمامية في مسألة الخلافة، إن مُقتضى التسليم برأي الشيعة الإمامية في هذه المسألة هو حصر الخلافة في فرع بعينه من قريش، ونقصد بهذا الفرع بنو هاشم على وجه الخصوص.

ومن المُوافقات الهامة هنا أن الشيخ الباقلاني الذي انحاز شيخنا العطار إلى رأيه في شرط القرشية كانت له بداية مُشابهة، وتفصيل ذلك أن الشيخ الباقلاني كان يعترض على حصر الخلافة أو الإمامة في بني هاشم ثم انتهى إلى رفض شرط القرشية بوجه عام في الخليفة.[٥٧]

ولقد انتقل شيخنا العطار بعد ذلك إلى الحديث المُفصل عن شرط النسب القرشي في الخليفة غير أنه في هذه المرة كان قد خرج عن منهجه في الاقتباس من الأستاذ ابن خلدون، نقل شيخنا عن أستاذنا ابن خلدون مُعارضته شرط القرشية في الخليفة منقولا ومنسوبا إلى الشيخ الباقلاني.

غير أن شيخنا العطار كان قد تعمد اختصار العبارات التي اقتبسها وكأنما فعل شيخنا فعلته ليظفر من الأستاذ ابن خلدون بما لم يُصرح

(٥٧) الباقلاني، التمهيد، سابق الإشارة، ص١٨٢ و١٨٤.

به! وبمعنى آخر ليبدو أستاذنا القاضي ابن خلدون وكأنه كان يعارض شرط القرشية تماما![٥٨]

وتحتاج الملاحظة السابقة إلى شيء من التأني وإلى قدر من التأمل، وذلك للوقوف على المنهج الذي اتبعه شيخنا العطار في هذا الموضع:

i. ذلك أن أستاذنا ابن خلدون لم يُسَلِّم تماما برفضه شرط النسب القرشي في الخليفة، لقد بذل عنايته في الرد على المُعارضين لذلك الشرط وما ساقوه من سنن وآثار تأييدا لاعتراضهم المذكور غير أنه أشار أيضا أن شرط القرشية واجب عند جمهور الفقهاء.[٥٩]

ii. أما نقطة الاتفاق بين أستاذنا ابن خلدون وشيخنا الباقلاني فهي قولهما بالعلاقة بين شرط النسب القرشي وشرط الكفاية

---

(٥٨) مخطوط العطار، ص٤-٥. ورغم كثرة المواضع التي اقتبسها العطار من ابن خلدون فإنه فلم يصرح باسمه سوى مرة وحيدة في هذا الموضع! وراجع أيضا: ابن خلدون، سابق الإشارة، ص١٣٧.

(٥٩) ومن ذلك: تأويل ابن خلدون حديث «اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي» بأنه للتمثيل والمُبالغة، وقوله فيما نُقل عن عمر «لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته» بأنه قول صحابي فلا يُحتج به هنا. راجع: المقدمة، سابق الإشارة، ص١٣٦-١٣٨.

وقولهما بأن شرط الكفاية أو الكفاءة في الخليفة شرط واجب بإجماع الفقهاء.[٦٠]

كان الأستاذ ابن خلدون ينظر إلى المصلحة في اشتراط النسب القرشي في الخليفة وهي تحقق العصبية التي تقطع كل نزاع وخلاف، ومُقتضى الكفاية كما صرح: أن يتحقق النسب القرشي في الخليفة، إذا عادت إلى قريش عصبيتها يصبح شرط القرشية في تلك الحالة ضمانةً لحفظ وحدة المسلمين، هكذا لم يستغنِ أستاذنا ابن خلدون عن شرط القرشية، ولكنه أدخله ضمن شرط الكفاية،[٦١] وهنا يكمُن الاختلاف بينه وبين ما ذهب إليه شيخنا العطار بشأن القرشية.

---

(٦٠) شرط الكفاية شرط واسع لأنه يشمل «الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو» فيكون صاحبه «جريئًا على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرًا بها كفيلًا بحمل الناس عليها». راجع في ذلك: ابن خلدون، سابق الإشارة، ص ١٣٦. الماوردي، الأحكام السلطانية، سابق الإشارة، ص ٨.

(٦١) ذلك أن من الفقهاء -كما سيأتي التعليق عنه- من استغنوا عن شروط الرأي- العلم- الكفاءة- الحربية- في الخليفة لإمكانه الرجوع فيها لأهل الاختصاص، بينما تشدد بعض الفقهاء المُتأخرين بشأن تلك الشروط، بسبب عدم وجود آلية لرقابة الخليفة ومُحاسبته وعزله. راجع: د. عبد الرزاق السنهوري، أصول الحكم في الإسلام، ترجمة: د. نادية عبد الرزاق، مُراجعة وتعليقات وتقديم: د. توفيق محمد الشاوي، هيئة الكتاب، ١٩٩٨م، ص١٠١.

وهذه الخلاصة فيها الكثير من الشبه مع آراء لاحقة عبر عنها بعض الفقهاء المُجددين وهي الآراء التي سلَّمت بصحة الأخبار والآثار التي تضمنت الإشارة إلى شرط النسب القرشي في الخليفة، غير أنها في مذهبهم لا تدل دلالة قطعية على وجوب ذلك الشرط، ولذلك فقد جعلوها في منزلة الإخبار أو الأفضلية.[٦٢]

## تطور مفهوم العصبية وأثره في فقه الخلافة

١٣- كان مفهوم «العصبية» معروفا في الفقه الإسلامي قبل أن يعكف شيخنا العطار على تطويره في رسالته، وكان يرِد صريحا بلفظه أو يُعبر عنه بلفظ «الشوْكة»، ويقصد بهذا أو ذاك القوة والغلبة التي يحصل بها قطع النزاع على منصب الخلافة، لقد لاحظنا ذلك في حديث الشيخ الباقلاني عن شرطي القرشية والكفاية في الخليفة، وفي كلام الشيخ الماوردي عن بلد الخليفة وفيها أهله والحاضرون من أهل الحل والعقد، ولا شك أن البحث في مفهوم العصبية وأثرها كان قد ارتبط بضعف نفوذ قريش وعجزها عن القيام بأعباء الخلافة[٦٣]، وهو العجز الذي ظهر جليا مع ضعف الخلافة الأُموية واقتراب زوالها، وللشيخ أبي حامد الغزالي في هذا الشأن رأي هام اعترف فيه بأثر العصبية على الخلافة.

---

(٦٢) ومن أتباع هذا المذهب شيخنا محمد أبو زهرة. راجع: تاريخ المذاهب الإسلامية، سابق الإشارة، ص٧٨-٨٠.

(٦٣) ابن خلدون، المقدمة، سابق الإشارة، ص١٣٦.

نقول في البداية: إنه كان قد ألحق الشوْكة أو العصبية بشرط الكفاية، ولم يستغنِ بهما عن شرط القرشية في الخليفة.[٦٤]

غير أنه كان قد صرح بطريقة ثالثة للحصول على منصب الخلافة عندما أقر بانعقاد الخلافة بِناءً على تفويض وبيعة من رجل أو جماعة ذات شوْكة، ولقد استغنى بذلك التفويض عن البيعة التي تصدر من أهل الحل والعقد، ونقطة الضعف فيما ذهب إليه الشيخ أبو حامد الغزالي هو ضعف سنده بخصوص طريقة التفويض، ونقصد بذلك قوله: «إن خلافة كُلٍّ من أبي بكر وعثمان بن عفان والإمام علي بن أبي طالب كانت بطريقة التفويض المُشار إليها».[٦٥]

ورب قائل: إنه كان يقصد بعبارة التفويض تلك الإشارة إلى التطور الذي حصل بخصوص فكرة أهل الحل والعقد والتي لم يعد الفقهاء يهتمون فيها بالحصول على إجماعهم أو أغلبيتهم كما مر بنا، ومثل هذا الاعتراض ليؤكد الرأي الذي ذهبنا إليه وهو أن فكرة العصبية كانت تزيح تدريجيا فكرة أهل الحل والعقد سواء في الواقع أو في الفقه السياسي للمسلمين.

وبمعنى آخر فإنه لم يكن مقبولا أن يُبالغ بعض الفقهاء في دور أهل الحل والعقد بينما كانت العصبية قد فرضت طريقة مُحددة لاختيار

(٦٤) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، سابق الإشارة، ص١٤٩ و١٥٠-١٥١.

(٦٥) الغزالي، نفس المصدر، ص١٥١-١٥٢.

الخليفة، وقد يُرَد على ذلك بأن هؤلاء الفقهاء كانوا أكثر اهتماما بالتوفيق بين أحكام الخلافة والواقع الاجتماعي، وربما لخصت تلك الملحوظة ما كان من خلاف بين شيوخنا وفي مُقدمتهم الغزالي والباقلاني والماوردي بخصوص العصبية وتأثيرها على طرق اختيار الخليفة.[٦٦]

ويبدو أن إضافة شيخنا العطار الحقيقية إنما كانت تكمن في تطويره مفهوم العصبية وتوظيفه للغاية من رسالته:

i. العصبية عند الأستاذ ابن خلدون هي عصبية قبلية قوامها التلاحم في النسب والقرابة ويترتب على وجود ذلك التلاحم قيام حالة من التضامن والتناصر بين أبناء العصبية الواحدة، وباستثناء الدولة الفاطمية فإن دولة الخلافة قامت في بداية نشأتها على عصبية العرب غير أن دولة الخلافة بعد ذلك قد أخذت في الضعف وظهرت الحاجة إلى الاعتماد على عصبية أخري جديدة، ولقد تكونت العصبية الجديدة من الطوائف التي عُرِفت باسم «الموالي» وهم غير العرب كالفرس والترك

(٦٦) حصر الماوردي طرق اختيار الخليفة في طريقتين اثنتين: اختيار أهل الحل والعقد والاستخلاف كما مر بنا، أما أبو حامد الغزالي فقد أضاف إلى هاتين الطريقتين طريقة ثالثة، وهي أن تتوافر في الخليفة صفات الخلافة أو الإمامة، وأن يكون قادرًا على إخضاع الكافة بشوكته وكفايته، وهي الطريقة التي لم يقر بها الباقلاني. راجع: الغزالي، سابق الإشارة، ص١٤٩-١٥٢. الباقلاني، التمهيد، سابق الإشارة، ص١٨٠.

الذين طبقا لما وصفهم به أستاذنا ابن خلدون كانوا أهل «ولاية واصطناع»، وليسوا «أهل قرابة».[٦٧]

ii. يقوم مفهوم العصبية إذن عنده ثم عند شيخنا العطار على أساس تفسير مُحدد لتاريخ المجتمع الإسلامي وتطوره وهو التفسير الذي يعتمد على فكرة الدورات التاريخية، ويُقصد بها: القول بتعاقب الأطوار أو الدورات واحدةً بعد الأخرى، وهكذا تمر الدولة بأطوار ثلاثة: دورة البداوة ودورة التحضر ودورة التدهور، وتعتمد الدولة في دورتها الأولى والثانية على عصبية العرب بينما تقوم الدورة الثالثة على عصبية أخرى هي عصبية الموالي المُشار إليها.[٦٨]

iii. غير أن تلك المقولة تعجز عن تفسير أمر هام سبق وأن لاحظناه عندما تحدث شيخنا العطار عن محاسن العثمانيين، لقد ازدهرت بعض جوانب الحضارة الإسلامية ولا سيما في العصر العباسي الأول وذلك على الرغم من أزمة الشرعية التي أحاطت بنظام الخلافة وما شهدته الخلافة العباسية من صراع على السلطة وعلى الرغم من تردي الوضع العسكري للمسلمين أمام الغرب الأوربي، ولذلك فإن الاعتماد على فكرة

---

(٦٧) أما الدولة الفاطمية فقد قامت وفقًا لابن خلدون على عصبية بعض قبائل البرابرة وعلى رأسهما كتامة. راجع: المقدمة، سابق الإشارة، ص ١٠٨-١١١ و١٢٨-١٣٠.

(٦٨) د. أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، [دون]، ص١٤٣-١٥٠.

الدورات لا يُسعفنا في تفسير التطور الاجتماعي والسياسي للمسلمين ولا تحيط تلك الفكرة بالتطور الذي خضع له نظام الخلافة الإسلامية بعد عصر الخلفاء الراشدين.[٦٩]

ما هي الإضافة التي قدمها شيخنا العطار وهو يتناول مفهوم العصبية؟ لم يختزل شيخنا مفهوم العصبية في فكرة «النسب»، وإنما أضاف إليه بعض العوامل الأخرى، ولذلك فالعصبية عنده أقرب إلى النفوذ الاقتصادي والسياسي التي تمارسه جماعة بعينها، وهو النفوذ الذي يفسر سقوط الدول وقيامها بعد انتهاء عصر «النبوة والخوارق»، ومع ذلك سنرى بعد قليل أن شيخنا توقف بمفهومه عند هذا الحد فلم يعكف على تطويره.

وعلى أية حال، لقد تغلَّب شيخنا على مسألتين يصعب تفسيرهما عند الأستاذ ابن خلدون.

المسألة الأولى: أن الدولة الأُموية ظلت عربية الطابع فلم تنتقل إلى الدورة الثالثة والأخيرة التي تقوم على عصبية الموالي.

(٦٩) د. حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، القاهرة: دار المعارف، [دون]، ص ١٤٥.
وهناك تفسير قدمه أستاذنا د. حسين مؤنس ميز فيه بين الحركة التاريخية الخالية من الوعي الحضاري كما في المثال الوارد بشأن الدولة العباسية وبين الحركة الحضارية التي تدفع المجتمع إلى تقدم حضاري عام وفي مُقدمته التقدم في المجال السياسي. راجع: الحضارة، سابق الإشارة، ص١٠٧-١١٥.

والمسألة الثانية: أن العصبية في مفهوم الأستاذ ابن خلدون لا تُفسر تماما انتقال الخلافة للعباسيين بمعنى أنها لا تفسر أثر عصبية الموالي في قيام تلك الخلافة وتأسيس دولتها.

عزيزي القارئ، ما رأيك في أن نتوقف هنا لتقييم فكرة منطقية أخرى كان ينبغي أن يقتفي شيخنا العطار أثرها؟ هل لاحظت خلاصة مفهوم العصبية أو النفوذ الاقتصادي والسياسي عنده؟ لماذا لا نستعين به في وصف حقيقة الحكم العثماني لمصر وبلادنا العربية والبحث عن إجابة لأكثر من سؤال؟ أول تلك الأسئلة: هل ما حدث في بلادنا العربية كان غزوا أم فتحا عثمانيا؟ والسؤال عن سر إهمال العثمانيين لقب الخلافة ثم الحرص عليه منذ أواخر القرن ال ١٨م.

لدينا هنا رواية تعتمد على منهج وعبارات شيخنا العطار من جهة وعلى حقائق التاريخ ومنطقه من جهةٍ أخرى، أرجو عزيزي القارئ أن تتأمل نتائجها:

i. كان من الطبيعي أن يحدث الصراع والصدام بين أكبر عصبيتين في العالم الإسلامي «السُني»، ونقصد بهما عصبية المماليك وعصبية العثمانيين، كان الصراع في جوهره صراع على النفوذ السياسي والاقتصادي بين الدولتين المسلمتين لم تكن دولة المماليك مُهيأة للاحتفاظ بسلطانها في مواجهة العثمانيين، وذلك بسبب مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية، وفي ذلك الوقت كان سلاطين المماليك يستظلون

بشرعية الخليفة العباسي الذي أسكنته بالقلعة في القاهرة، كان سلاطينهم يبايعونه بالخلافة فيصدر لهم العهود بسلطانهم على مصر والشام وغيرها من الأقاليم الخاضعة لهم.

ii. ومع ذلك فإن الخليفة العباسي بالقاهرة كان محروما من أي سلطة سياسية، كان حال الخلفاء العباسيين بالقاهرة يكشف بجلاء عن خاتمة الخلافة وعاقبة الخلفاء، لقد امتُهن لقب الخلافة بعد أن كثر مُدعوه بل ومُنتحلوه، ولقد سُلِبت سلطات الخليفة على يد أمراء الاستيلاء الذين سبق وأن تكلمنا عنهم وأصبح عزل الخلفاء أو سمل أعينهم أو قتلهم أمرا مألوفا![٧٠]

iii. ولقد انتهى ذلك الصدام بانتصار العصبية العثمانية لتصبح دولتهم هي الدولة السُنية الكبرى في العالم الإسلامي تسيطر على بلادنا العربية شرقا وغربا ويمتد نفوذها إلى الحرمين الشريفين وكان من الطبيعي ألا يُجهد العثمانيون أنفسهم بالبحث عن لقب الخلافة الذي فقد الكثير من أثره ومدلوله

(٧٠) ولقد أطلقت في مؤلفاتي وصف «سجين القلعة» على الخليفة العباسي بالقاهرة. وهو الوصف الذي أستقي مرارته من عبارة المقريزي وهو يصف حال الخلفاء بالقاهرة: «وليس له أمر ولا نهي ولا نفوذ ولا كلمة بل يتردد إلى أبواب الأمراء وأعيان الكتاب والقضاة لتهنئتهم بالأعياد والشهور». راجع: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، [دون]، جـ١ ق١ ص٢٢. وراجع في ضعف الخلفاء في العصر العباسي الثاني: د. أحمد محمد البغدادي، كتاب السجون في مصر من الفتح الإسلامي إلى الحكم العثماني، ط١، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٤١ وما بعدها.

في الوقت الذي أصبحوا فيه سادة العالم الإسلامي السني بلا مُنازع وبُمقتضى الأمر الواقع.

ولذلك عزيزي القارئ لا تجد أثرا ملحوظا للخلافة ولقبها في المعاهدات الدولية التي كانت الدولة العثمانية طرفا فيها مع دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وينبغي في اعتقادي أن نقرأ تلك الحقيقة على ضوء التطور الذي خضعت له آراء بعض الفقهاء وهم يلاحظون التطور السياسي للمجتمع التركي العثماني، لقد تكلم فقيه كبير مثل الدواني بين القرنين الـ١٤ والـ١٥م عن «حكم القوة»[٧١]، وإن كل حاكم يطبق الشريعة يستحق لقب الخليفة وسلطاته ولو لم يكن عادلا، وهكذا تصبح الخلافة ببساطة مُرادفا للسلطة في الواقع، ولما كانت السلطة هبة مُقدسة من الله -تعالى- فإنه لا حاجة إلى الاعتماد في الخلافة على نسب قرشي أو غيره من الأنساب.

أما فكرة حكم القوة فلم تكن غائبة عن الأفكار التي نقلتها إليك عزيزي القارئ في الصفحات السابقة، لقد تكلم مشايخنا عن تقليص العدد المُعتبر في أهل الحل والعقد عند القيام باختيار الخليفة وبيعته وانتقلوا إلى البحث في أثر الشوْكة والعصبية في تلك المسألة، ولم تكن فكرة القوة غائبة عن شيخنا الماوردي عندما أشار صراحةً إلى حكم القوة، وذلك في حديثه عن الأمراء الذين استلبوا الخليفة بعض

(٧١) د. محمد أنيس، الدولة العثمانية والمشرق العربي، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، [دون]، ص٧٢.٦٨ و١١٧.١١٢.

سلطاته وهم الأمراء الذين نعرفهم في الفقه السياسي الإسلامي باسم أمراء الاستيلاء كما مر بنا.[٧٢]

ومع ذلك فإن شيخنا العطار كان شديد الوعي والحذر في هذا الأمر للأسباب التالية:

i. إن ما صدر عن أغلب الفقهاء يمكن تلخيصه دون عناء وهو أنهم أخضعوا أغلب أعمال الخلفاء بعد عصر الخلفاء الراشدين لحكم الضرورة عندما أصبحت الخلافة مُرادفا للسلطة في الواقع، وبعد أن اتخذت من الشوكة والعصبية ومن الغلبة والقوة سبيلا لمنصبها، ولذلك حكم الفقهاء بصحة أعمال الخلفاء وكانت المصلحة عمدتهم في تبريرها كما أشرنا في أكثر من موضع، وأشرنا للقاعدة الفقهية التي تفرعت عنها وهي اختيار أقل المفسدتين وأخف الضررين.

ii. وهنا يكمن الضعف في المنهج الذي اعتمده الفقهاء الأحناف المُتأخرين والذي لم يسلَم منه شيخنا العطار، ونقصد بذلك أنهم حاولوا البحث عن سند شرعي لإعفاء الخلفاء من شروط العلم والكفاءة الحربية والنسب القرشي بينما لجأ غيرهم -وهو ما نفضله- إلى باب الضرورات يستندون إلى الضرورة لإعفاء

(٧٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، سابق الإشارة، ص٣٦.٣٧.

الخلفاء وغيرهم من أصحاب الولايات العامة من الشروط المُشار إليها.[٧٣]

ولقد لخصت لك عزيزي القارئ فيما مضي موقف سلاطين الدولة العثمانية من لقب الخلافة عندما كانت دولتهم تتمتع بالقوة والغلبة في العالم الإسلامي السنى وعلى إمبراطوريتها في أقدم قارات العالم غير أن الأحوال كانت قد تغيرت ويتوقف المؤرخون عند معاهدة «كوتشوك كينارجي» مع روسيا سنة ١٧٧٤م للإشارة إلى ذلك التغيير لقد تضمنت تلك المعاهدة أول إشارة رسمية للخليفة العثماني وسلطته الدينية على المسلمين خارج تركيا ولا أريد أن أكرر حديثي عزيزي القارئ عن مسألة التوظيف السياسي للخلافة والتي لجأ إليها العثمانيون منذ أواخر القرن الـ١٨م وهم يواجهون خطر تفكك دولتهم وضياع سلطانهم.

١٤ اسمح لي عزيزي القارئ أن نعود إلى شيخنا العطار عندما كان يبحث في بعض التفاصيل حول مفهوم العصبية وأثرها في نظام الخلافة:

## العصبية الأُموية:

استعمل شيخنا العطار ذات الوحدات الاجتماعية التقليدية التي استعان بها أستاذنا ابن خلدون وذلك للحديث عن تطور عصبية بني أمية أو نفوذها الاقتصادي والسياسي، ونقصد بتلك الوحدات:

---

(٧٣) راجع في ذلك بالتفصيل: د. أحمد محمد البغدادي، شرعية السلطنة الأيوبية، ط١، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٣.١٧.

i. على مستوى قبائل قريش: الصراع بين بني أمية من جهة وبني هاشم من جهة أخرى.

ii. على مستوى قبائل العرب بوجه عام: الصراع بين عرب اليمن الذين يقطنون جنوب شبه الجزيرة العربية والذين يُطلق عليهم اسم «القحطانية» وعرب الحجاز في أواسط شبه الجزيرة العربية والذين يُطلق عليهم اسم «العدنانية».[٧٤]

---

**(٧٤)** ابن خلدون، المقدمة، سابق الإشارة، ص ١٥٢، ويعود الصراع بين بني أمية وبني هاشم إلى العصر الجاهلي، وأول عداوة بينهما كانت في النزاع بين هاشم بن عبد مناف وابن أخيه أمية بن عبد شمس على السيادة في مكة. وانتهى نزاعهما بغلبة هاشم ورحيل أمية إلى الشام مدة عشر سنوات. راجع: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، كتاب= =النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، ذخائر العرب، ٦٢، القاهرة: دار المعارف، [دون]، ص٣٨-٤١. وفيما كان من فضل لبني هاشم على بني أمية وسائر قريش، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، علق عليها وخرج أحاديثها ووضع فهارسها: عمر عبد السلام تدمري، القاهرة: دار الريان للتراث، [دون]، جـ١٥٦ وما بعدها. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، القاهرة، هيئة الكتاب، ١٩٩٨م، ص٥٦-٦١. أما الصراع العدناني اليمني فيقصد به نقمة القحطانية أو قبائل اليمن على قريش عامةً وبني أمية خاصةً، وأصله تقسيم العرب إلى عرب عارِبة هم ابناء قحطان باليمن، وعرب مُستعرِبة أبناء عدنان في الحجاز، وتوجد أوجه نقد كثيرة توجه لذلك التقسيم وتُشكك في صحته. راجع: د. توفيق برّو، تاريخ العرب القديم، ط١، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٢م، ص٥٨-٦٣.

ومن خلال تلك الوحدات أخذ شيخنا العطار في تتبع تنامي نفوذ بني أمية منذ أواخر العصر الجاهلي وكانت له وقفة عند عاملين حاسمين أولهما:

- الأول: نتائج الصراع بين المسلمين الأوائل ومُشركي مكة.
- الثاني: أثر فتوحات المسلمين في غلبة بني أمية على إقليم الشام.

أما العامل الأول: فقد أفضى إلى رياسة بني أُمية على قبائل قريش في مكة وسيادة أبي سفيان بن حرب بن أُمية عليها وهو التطور الذي نلاحظه جليا بعد غزوة بدر الكبري (٢هـ/٦٢٤م).

وأما العامل الثاني: فإن غلبة بني أُمية على الشام قد منحتهم المزيد من النفوذ السياسي والاجتماعي داخل دولة الخلافة.[٧٥]

وفي اعتقادي أن الشيخ العطار فيما عرضنا له كان على وعي كبير بمنهجه، فطوع اقتباسه من ابن خلدون دون تَزيد غير أن السؤال الذي يفرض نفسه: لماذا لم يتعمق شيخنا في مسألة الفتوحات الإسلامية وأثرها على تطور دولة الخلافة في عصر الخلفاء الراشدين

(٧٥) مخطوط العطار، ص ٩-١٥. ويرجع البعض نفوذ بني أمية في الشام إلى الجاهلية، منذ أن استقبلت أمية بعد نزاعه مع عمه هاشم -كما لاحظنا- وبعد الإسلام، كانت ولاية يزيد بن أبي سفيان بن أمية على الشام وخلفه أخوه معاوية حتى توليه الخلافة. راجع: عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام، القاهرة، هيئة الكتاب، ٢٠٠٢م، ص٤٤ و٥٥. عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، القاهرة: مكتبة دار التراث، [دون]، ص١٩١.

وأثرها كذلك في تعاظم نفوذ قريش الاجتماعي والسياسي ونقمة الكثير من العرب عليها لهذا السبب؟[٧٦] ذلك أن البحث في تلك الآثار كان من شأنه إثراء مفهوم العصبية الذي تناوله شيخنا العطار وكان من شأنه أيضا أن يسعف شيخنا بالتعمق في مسألة التطور الاقتصادي والاجتماعي لجماعة المسلمين وأثر ذلك التطور على نظام الخلافة والفقه السياسي في العالم الإسلامي

أما الإجابة على السؤال الذي طرحناه فهي أن شيخنا العطار كان ثابتا لم يتزحزح عن الغاية من رسالته التي بين أيدينا ولذلك فإنه لم يتعمق في النتائج السياسية والاجتماعية للفتوحات الإسلامية، ومن هنا فإن شيخنا لم يبرح التقسيم التقليدي القديم للعرب إلى عرب قحطانية وعرب عدنانية والصراع بين عرب الجنوب وعرب الشمال وإنه ظل أسيرا لفكرة الصراع الذي حملت قريش لوائه بين بني أمية من جهة

(٧٦) فقد ترتب على الفتوحات تكون فئة من أصحاب الثروة كانوا عونًا لبني أمية في صراعهم على الخلافة، أما التوسع في الفتوحات فلم يتح الفرصة لتأصل الدين في النفوس في الأمصار المفتوحة. وكان أكثر العرب الفاتحين قريبي عهد بالجأهلية وعصبيتها مع قلة صحبة بالنبي وعلم بالدين. راجع: أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، كتاب العقد الفريد، شرحه: أحمد أمين وإبراهيم الإبياري، الذخائر، ١١١-١١٧، هيئة قصور الثقافة، أول يناير ٢٠٠٤، أول أبريل ٢٠٠٤م، جـ١ ص٣٤-٣٥ و٤٩-٥٠ و٥٢-٥٨. ابن خلدون، المقدمة، سابق الإشارة، ص١٥١. النجار، الخلفاء الراشدون، سابق الإشارة، ص٢٦٠-٢٦١. أبو الحسن علي بن= =الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، جـ٢، ص٣٤١-٣٤٣ و٣٤٦-٣٤٧.

وبني هاشم من جهة أخرى.[٧٧] ويحق لنا القول إننا لم نظفر بما كنا نتمناه من شيخنا لأنه إنما كان يتحدث عن القبائل العربية باعتبارها وحدات اجتماعية ثابتة جامدة وكأن تلك الوحدات والأطر الاجتماعية كانت تتحدى الزمن وتقلباته وتغيراته وكأنما كانت تستوعب كل تطور اجتماعي وسياسي خضعت له دولة الخلافة![٧٨]

## العصبية العباسية:

استكمل الشيخ العطار اعتراضه على حصر الخلافة في قريش أو فرع منها وذلك بمُناسبة حديثه عن خلافة العباسيين لقد مزج شيخنا في كلامه عن العصبية العباسية بين أثر العناصر غير العربية أو

---

**(٧٧)** يبدأ التنظيم الاجتماعي العربي القديم بالشِعب، ويُقصد به النسب الأبعد، فيقال عدنان وقحطان، ويتفرع عن الشِعب القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ وأخيرًا الفصيلة. وتطبيقًا لذلك فإن بني هاشم وبني أمية فخذان من بطن عبد مناف، أما بنو العباس فهم فصيلة من بني هاشم. راجع: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة: هيئة الكتاب، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، جـ١ ص٣٠٨-٣٠٩.

**(٧٨)** استغل الخلفاء الأمويون العصبيات القبلية واتخذوها إطارا للتعبير عن الصراع على النفوذ الاقتصادي والسياسي، ويقسم المؤرخون العرب إلى قحطانية وهم أهل الحَضر وعدنانية وهم أهل المَدر أو الرعاة البدو، وهو التقسيم الذي لا يستوعب التطور الاجتماعي منذ أواخر القرن الأول للهجرة، لقد استقرت بعض قبائل الحجاز للزراعة والتجارة ونشأت وتطورت المزيد من الحواضر أو المدن، ولاحظ بعض المؤرخين ظاهرة عرفتها عصور الخلاف السياسي والحروب بين المسلمين وهي أن القبيلة الواحدة كانت تنقسم على نفسها أحيانًا فيحارب الأخ أخاه. راجع: المسعودي، مروج الذهب، سابق الإشارة، جـ٢، ص٤٠٣-٤٠٥. د. الفضل شلق، الجماعة والدولة، مجلة الاجتهاد، عدد٣، بيروت: دار الاجتهاد، ربيع ١٩٨٩م، ص١٨-٢٠.

الموالي وأثر الدعوة الشيعية، ولذا فإنه تتبع الحركة الشيعية وانتقال الخلافة إلى بني العباس بالوصية من عبد الله بن محمد بن الحنفية.

وفي ذلك الإطار أخذ شيخنا العطار في إظهار مواطن الضعف في مفهوم القرابة للنبي -عليه السلام- وبالتحديد في اتخاذ القرابة طريقا لطلب الخلافة، ومن ذلك بيان أثر الاحتكام للقرابة في وقوع النزاع وحصول الفُرقة بين المسلمين وكيف أنها كانت سببا في خضوع المسلمين لأكثر من خلافة في عصر واحد وهما الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية

ولا شك أن وقوع الخلاف والتشكيك في النسب العلوي كان حجة أخرى تمسك بها شيخنا العطار ونقل شيخنا طعن العباسيين وغيرهم في انتساب الخلفاء الفاطميين إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، ومع ذلك فإنه لا يفهم من كلام شيخنا العطار أنه كان مقتنعا تماما بالتشكيك في النسب الفاطمي، وموقفه هذا يتطابق مع موقف أستاذنا ابن خلدون غير أن الأخير كان أكثر صراحةً في التعبير عن رأيه هذا.[٧٩]

(٧٩) راجع فيما سبق: مخطوط العطار، ص١٥-٢٥ و٣١-٣٢. ويُلاحظ أن ابن خلدون لم يتشيع لمن شككوا في النسب الفاطمي خلافا للسيوطي الذي نقل عنه العطار حملته على الخلفاء الفاطميين، وهناك من المؤرخين الثقاة الذين دافعوا عن النسب الفاطمي مثل ابن الأثير والمقريزي. راجع: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تاريخ الخلفاء، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، [دون]، ص٣-٤، و٢٥٩-٢٦٠. ابن خلدون، المقدمة، سابق= =الإشارة، ص ١١٠-١١١. وأيضًا مُقدمة المحققين لكتاب:

وفي اعتقادي أن العطار كان قد بالغ في تقدير نفوذ «الكيسانية» أتباع محمد بن الحنفية ابن الإمام علي بن أبي طالب عندما قارن نفوذ تلك الفرقة الشيعية بغيرها من فرق الشيعة الأخرى[٨٠]، ولقد تفرق شيعة محمد ابن الحنفية بعد وفاته في الوقت الذي لم تتوقف فيه فرقة شيعية أخرى هي فرقة «الطالبيون» عن «الخروج» أو الثورة طلبًا لمنصب الخلافة.[٨١]

وحدثت الكثير من الوقائع التي تشهد بالصراع بين الطالبيين والعباسيين على الخلافة أو الإمامة، وذلك قبيل انهيار الدولة

---

أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: د. إلهامي نقرة ود. عبد الحليم عويس، القاهرة: دار الصحوة، [دون]، ص٧-١٤.

(٨٠) الكيسانية: نسبة إلى كيسان مولى الإمام علي وتلميذ ابن الحنفية، وقد تشيع كيسان وأتباع دعوته إلى ابن الحنفية وبنيه من بعده غير أنهم تفرقوا بعد وفاة ابن الحنفية، فمنهم من ذهب إلى بقاء الإمامة في نسله، ومنهم من قال بانتقالها إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ومنهم من قال بانتقالها إلى علي بن عبد الله بن عباس جد السفاح والمنصور وهي مقولة العباسيين. راجع: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد عثمان الخشت، القاهرة: مكتبة ابن سينا، [دون]، ص ١٨-٢٦ و٤٧. الشهرستاني، الملل والنحل، سابق الإشارة، ص١٤٥.

(٨١) الطالبيون: كافة من كانوا يطالبون بالإمامة من بني طالب، سواء كانوا من بني الإمام علي بن أبي طالب وهم العلويون كما مر بنا، أو غيرهم مثل بني جعفر بن أبي طالب.

الأُموية[٨٢]، ولقد أصبح الصراع وما فيه من دماء وسجن وإخفاء قسري هو الطابع الذي سيطر على العلاقة بين الفريقين منذ عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٧-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) وهو ما يعني أن العصبية العباسية كانت قد خضعت للتطور أو بمعنى أدق خضعت للانقسام والتفتت بمرور الوقت.[٨٣]

وربما قيل إن شيخنا العطار حاول أن يشير إلى ذلك التطور في خاتمة رسالته عندما كان يُركز على مظاهر انحطاط الخلافة العباسية[٨٤]، غير أن شيخنا لم يهتم بالإشارة إلى العلاقة بين نفوذ الأتراك وعصبيتهم من جهة وبين الضعف الذي أصاب دولة الخلافة العباسية في عصرها المتأخر من جهة أخرى، وهو أمر لا تخفى دلالته بالنظر إلى دفاعه عن خلافة العثمانيين وإلى الأصول التركية التي تفرعوا عنها.

(٨٢) راجع على سبيل المثال: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، الذخائر، عدد ٩٧-٩٨، القاهرة، هيئة قصور الثقافة، يونية ٢٠٠٣م، جـ١ ص١٦١-١٦٩.

(٨٣) راجع في ذلك وفي محنة الطالبيين زمن الخليفة المتوكل العباسى: الأصفهانى، نفس المصدر، جـ١ ص١٧٨ وما بعدها، جـ٢، ص٥٩٧-٥٩٨. وأيضا: المسعودى، مروج الذهب، سابق الإشارة، جـ٣، ص٣٠٦-٣١٢.

(٨٤) مخطوط العطار، ص٣٠-٣١.

# المبحث الثالث

# وصف مخطوط العطار ومنهج تحقيقه

## المخطوط وضوابط النسخ

١٥- والرسالة مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٨٠) مكتبة زكية ويقع المخطوط في (٣٦) ورقة، وجاءت المساحة المكتوبة فيها بين (١٤٥) و(٩) سم وقد التزم الناسخ ما حدده من مساحة للكتابة، مما أثر على شكل بعض الحروف في آخر كلمة بالأسطر ولذا كان الناسخ يضع حرفًا فوق آخر أو يمد الحرف إلى داخل الكلام، كما في صفحة (٢٦) من المخطوط وتحتوي كل صفحة على (١٣) سطرا ما عدا الصفحتين الأولى والأخيرة، أما الأولى: فتشتمل على (١١) سطرا، والأخيرة: على (٩) أسطر.

وقد دوَّن المخطوط بخط نسخ واضح ومداد أسود ساهم في وضوح الخط، وتعد المخطوطة فيما أعتقد مثالًا لتخطي رسم الخط السائد في العصر العثماني وما سبقه، وآية ذلك أن تاء التأنيث جاءت دائمًا منقوطة كما في «المصلحة» و«الخلافة» أما الهمزة المتوسطة على ألف أو نبرة فإنها لم تُبدل ياء مثل القائم، وأُثبتت علامة الهمزة بعد الألف الممدود مثل: الغناء.[٨٥]

---

(٨٥) راجع في تطور رسم الخط العربي بشأن موضع الهمزة وتاء التأنيث: د. رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢٢هـ،٢٠٠٢م، ص١٩٠-٢٠٤.

وبصفة عامة فإن الناسخ كان يستغني عن رسم الهمزة إذا جاءت في أول الكلمة ولم يسبقه حرف زائد، ومن ذلك كلمات «انما» و«اولى» وربما دفعته الدقة لأن يخالف سنته فيثبت الهمزة والمدة في آي القرآن الكريم وفي بعض الكلمات مثل: «أحد» و«آمن» غير أننا نلحظ مِسحة من أثر النسخ في العصر العثماني، وهي اعتماد الناسخ على نظام التلحيق، ويقوم ذلك النظام على الإشارة في ذيل الصفحة الفردية إلى أول كلمة تبدأ بها الصفحة التالية.[٨٦]

ويخلو المخطوط من علامات الترقيم، إلا فيما استعمله من علامة مُحددة لتمييز آيات القرآن الكريم ويلحق بها خمسة مواضع استعمل فيها القوسين:

١) صفحة (١١): (ولما كان الفتح)

٢) صفحة (١٢): (ولما هلك عثمان)

٣) صفحة (٣٣): السلطان الفاتح محمد (الثاني) العثماني

٤) صفحة (٣٣): (بين أعدائه كالشية البيضاء في الأدهم)

٥) صفحة (٣٤): (واستنسر البغاث)

(٨٦) وهو ذات النظام في مخطوط أحمد شلبي بن عبد الغني الذي يعود للعصر العثماني، أوضح الإشارات فيمن تولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات. وقد لاحظه وأشار إليه أستاذنا المُحقق د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم في تحقيقه له. راجع مقدمة المُحقق للكتاب: القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م، ص٢٢.

ويتضح من الموضعين الرابع والخامس أن الناسخ كانت له خطة في إحاطة الأمثال بالأقواس فكل منهما كان مثلا استعمل للإشارة إلى ضعف الخلافة وحال المسلمين أما استعمال القوسين في الموضع الثالث: فقد خالفه الناسخ كثيرا فلم يستعمله حول الأرقام الواردة في صفحات (١٣ و٢١ و٢٤).

ولا تبقى لنا من مسألة استعمال القوسين سوى الموضعين الأول والثاني وكل منهما يصلح لأن يكون عنوانًا جانبيًا، ولذينك الموضعين صلة بالحديث عن تقسيم المخطوط، لأنه يخلو من أثر لتقسيم الكلام إلى فقرات[٨٧]، وباستثناء الموضعين المشار إليهما فإن المعول في تقسيم المخطوط هو العناوين الرئيسة وقد أُخضعت تلك العناوين لتعاقب الخلافة من الناحية الزمنية فيما عدا العنوان الأول منها وكانت على النحو التالي:

تحقيق أمر الخلافة الإسلامية

الخلفاء الراشدون

الخلافة الأموية

الخلافة العباسية

الخلفاء الفاطميون

(٨٧) وكانت عادة علماء المسلمين قديما تمييز أول الكلام بعدة طرق، منها: وضع خط تحت أول كلمة من الفِقرة أو تدوينها بمِداد مُختلف اللون أو خط أكبر في بنطه. راجع: عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط٧، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ٨٧.

الخلافة العثمانية

وقد مُيزت العناوين بخط غليظ إستطالت فيه بعض الحروف فتميزت بذلك عن المتن وذلك باستثناء كلمة " اعلم " صفحة (٨٠) وبجانب العناوين مُيزت أبيات الشعر، فُشطرت في سطر مستقل

وبالنظر إلى ملاحظاتنا السابقة ولا سيما عن التلحيق وتقسيم المخطوط: فإنه يُرجح أن المخطوط لم يبعد عهده من زمن العطار وإن لم يكن نسخته الأصلية ولعل في تلك الخلاصة بعض الغناء أمام خلو المخطوط من معلومات عن الناسخ وتاريخ النسخ

ويندر أن يقف المتصفح على خطأ لُغوى، أو تصحيف وتحريف في المخطوط غير أنه يُلاحظ بعض الإضافات في الصفحات الأخيرة للمخطوط سواء على هامشه أو بين الأسطر على النحو التالي:

| الصفحة | السطر | الموضع | الإضافة |
|---|---|---|---|
| ٢٧ | ٨ | بين السطرين ٧ و ٨ | هنالك |
| ٣٣ | ٦ | الهامش | الكبير العظيم القدر |
| ٣٣ | ٧ | بين السطرين ٦ و٧ | الشريف |
| ٣٣ | ١٢ | الهامش | ضعيفا غريبا |
| ٣٤ | ٢ | بين السطرين ١ و٢ | في |
| ٣٥ | ٩ | بين السطرين ٨ و٩ | وغيرهم |

## منهج تحقيق المخطوط

١٦- لقد إشتمل المبحث السابق على جزء من عمل المُحقق إذ جري تحقيق أقوال العلماء ممن رجع إليهم العطار مثل: القاضي ابن خلدون وشيوخنا الباقلاني والسيوطى واقتضي ذلك الرجوع إلى مصادر إستقي منها العطار بعض مادته، أو كانت ذات صلة مباشرة بموضوع رسالته

وربما أعاننا المبحث السابق على الإلتزام بأمر له أهميته في مجال التحقيق وهو الإلتزام بمنهج وسط في التعليق على المخطوط ذلك أن الإسهاب في التعليق بحشد المعارف البعيدة: يخل بالغاية من التحقيق، وربما شتت ذهن المتصفح[٨٨]

ولذا جاء التعليق على المخطوط: لإيضاح مُبهم أو تفصيل هام أو وصل أجزاء المخطوط على النحو التالي:

١) توضيح ما يحتاج إلى ضبط وتحقيق من أسماء الأعلام والقبائل والشعوب والأماكن

٢) التعريف بالمصطلحات، وكذا بعض الألفاظ التي لا غني عن بيانها

٣) تخريج النصوص، وذلك بردها إلى أصولها أو المصادر التي تُعين على التحقق منها

(٨٨) راجع: عبد السلام هارون، تحقيق النصوص، سابق الإشارة، ص٨١-٨٢.

٤) تحقيق ما يلزم من وقائع، وضبط التواريخ ومُقابلتها بالتقويم الميلادى

٥) عدم تكرار ما سبق بيانه من تعليق ورد بالدراسة في الفصل الأول من هذا الكتاب ولذلك اكتفينا بالإحالة إليه

وبصفة عامة جرى الالتزام بعدم التدخل في نصوص المخطوط سواء بإضافة تقسيمات أو عناوين أو علامات إملائية خلافا للأصل غير أن هناك نوعًا من التدخل اليسير يتسع له منهج التحقيق، وغرضه التيسير ودفع ما قد يُتوهم من ألفاظ ولذا جرى الالتزام:

١) ضبط الألفاظ، ويلحق به تصحيح ما لحقها من تحريف أو تصحيف أو نقص أو خطأ والإشارة في هامش الكتاب إلى الأصل الوارد في المخطوط.

٢) الاستغناء عمّا التزم به الناسخ بخصوص شكل بعض الحروف وذلك في الكلمات الأخيرة بنهاية الأسطر كما لاحظنا وأحلنا بخصوصها إلى صفحة (٢٦) من المخطوط.

٣) تمييز آيات القرآن الكريم بعلامات أخرى مُناسبة غير تلك التي استعملها الناسخ.

وقد اقتضت القواعد السابقة في تحقيق المخطوط الاستعانة بهامش الكتاب وذلك لإثبات ضرب آخر من التعاليق، ويشتمل هذا الضرب

على ما ساقه الباحث من اعتراض أو مُخالفة لشيخنا العطار صاحب المخطوط الذي بين أيدينا.

وأخيرا: فإن التيسير على الباحثين كان يتطلب تمييز صفحات المخطوط، وبيان أرقام صفحاته بكل دقة ولذا فقد أُشير إلى كل صفحة جديدة من المخطوط باستخدام علامة مُميزة لهذا الغرض تجدها عزيزي القارئ في متن الرسالة ذاتها، وستجد الإشارة إلى رقم الصفحة بالهامش وبنفس العلامة الموجودة في المتن.

# الفصل الثاني

## «رسالة تحقيق الخلافة الإسلامية ومناقب الخلافة»

## للشيخ حسن بن محمد بن محمود العطار

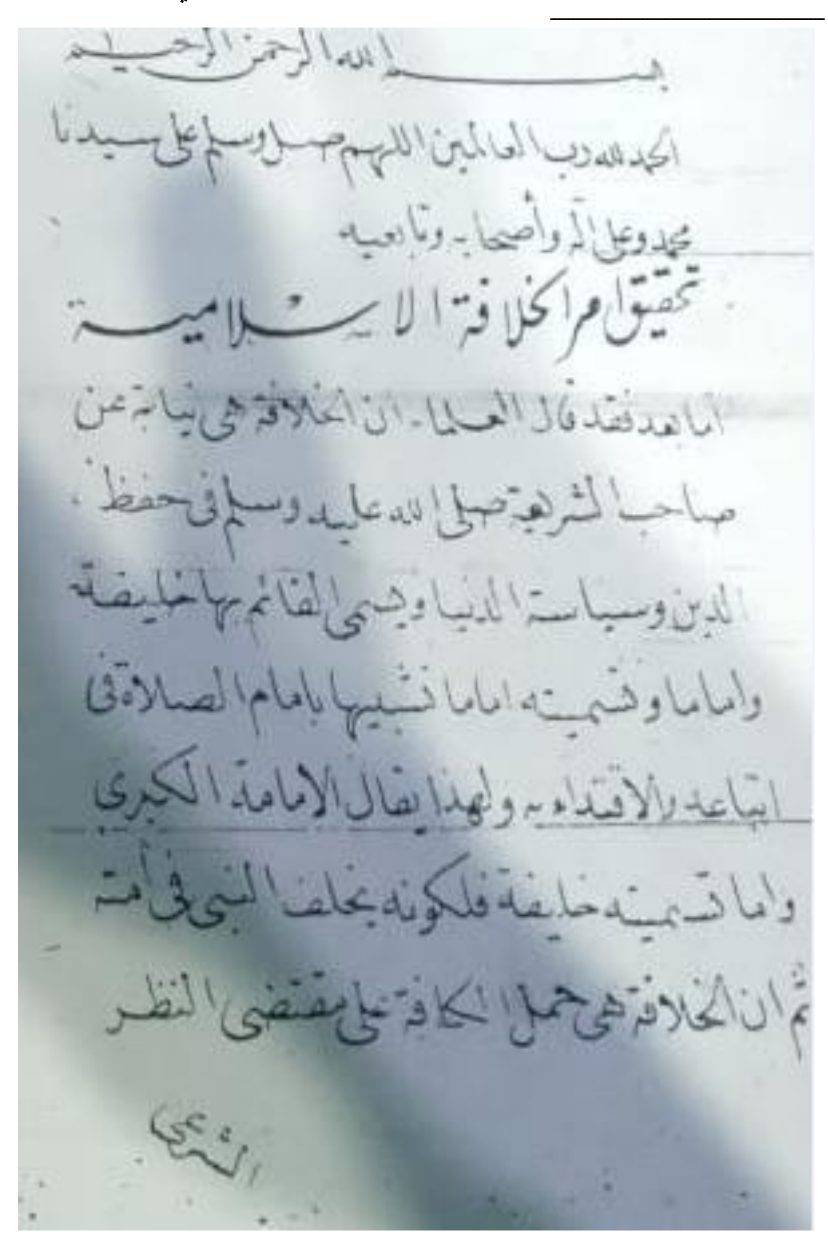
## نص المخطوط والتحقيق

- ... فهم أقرب الناس في أعمالهم بالسلف الصالح والأولين الطيبين الطاهرين لم يشبهم ما شاب دول الخلفاء من بني أمية وبني العباس والفاطميين وجرى على يدهم أو يد أعوانهم من السوء في أمر الدين والدنيا...

صفحة ٢٨

- من المخطوط والتي تتناول محاسن الخلافة العثمانية مُقارنةً بمساوىء دول الخلافة الإسلامية بعد عصر الخلفاء الراشدين





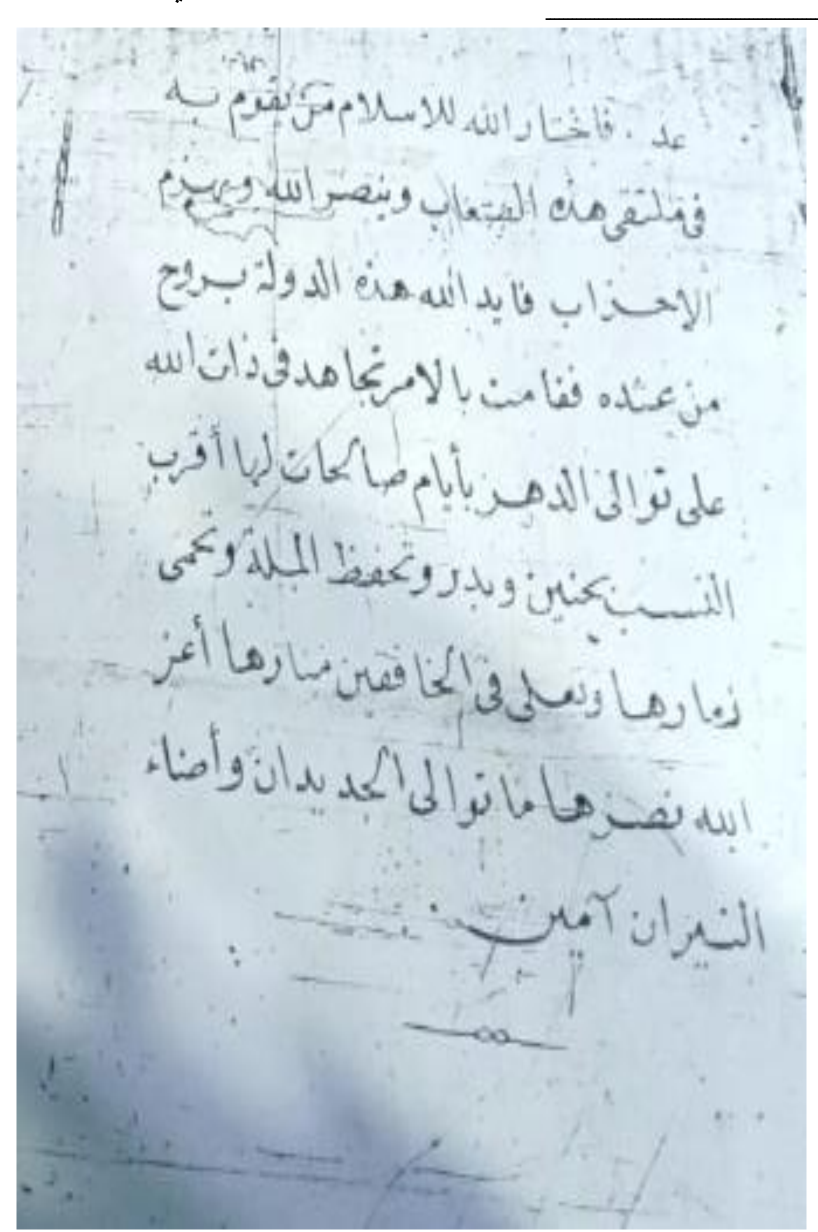
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين اللهم صل وسلم على سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيه

تحقيق امر الخلافة الاسلامية

اما بعد فقد قال العلماء ان الخلافة هي نيابة عن
صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم في حفظ
الدين وسياسة الدنيا ويسمى القائم بها خليفة
واماما وتسميته اماما تشبيها بامام الصلاة في
اتباعه والاقتداء به ولهذا يقال الامامة الكبرى
واما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته
ثم ان الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر
الشرعي

وآخرين من الصحابة فضلا الجموع الاعداء وتوالت
غزوتهم شرقا وغربا وتوالت الفتوح في الامصار
حتى لم تنقض أيام الخلفاء الراشدين الا وقد
تمت اكثر الفتوح وتمهد الامر للخلفاء الملوك من
بعدهم قرونا عدة تداولوا فيها أمر المسلمين
لا ينازعهم منازع ولا يغالبهم مغالب ولا
يخرج عليهم خارج الا منهم وما عدا ذلك
انما هي صوائف يرسلونها كل سنة لقتال
الروم (وغيرهم) او الافرنج فتغزوا وتغنم ما شاءت
ثم ضرب الدهر ضرباته وحال الحال
(واستنسر البغاث) وهب أعداء الملة
في قوة ومنعة وتألبوا عليها شرقا وغربا
برا وبحرا في جموع لا يحصرها حد ولا يعدها


عد . فاختار الله للاسلام من يقوم بـه
فى ملتقى هذه الصعاب وبنصر الله ويهزم
الاحـزاب فايد الله هذه الدولة بروح
من عنده فقامت بالامر تجاهد فى ذات الله
على توالى الدهر بأيام صالحات لها أقرب
النسب بحنين وبدر وتحفظ الملة وتحمى
ذمارها وتعلى فى الخافقين منارها أعز
الله نصرها ما توالى الجديدان وأضاء
النيران آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم*

الحمد لله رب العالمين

اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد

وعلى آله وأصحابه وتابعيه

## تحقيق أمر الخلافة الإسلامية

أما بعد:

فقد قال العلماء إن الخلافة هي نيابة عن صاحب الشريعة -صلى الله عليه وسلم- في حفظ الدين وسياسة الدنيا ويسمى القائم بها خليفة وإماما وتسميته إماما تشبيها بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به، ولهذا يقال الإمامة الكبرى وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته، ثم إن الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر* الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فإنها كلها عبث وباطل، إذ غايتها الموت والفناء والله يقول {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا}[٨٩]، فالمقصود بهم إنما هو دينهم المقضي[٩٠] بهم إلى السعادة في آخرتهم، فجاءت الشرائع[٩١] بحملهم على

* ص ٢ من المخطوط.

(٨٩) سورة المؤمنون، آية/١٥.

(٩٠) هكذا في الأصل، وربما كان الصحيح: المُفضى.

ذلك في جميع أحوالهم حتى في الملك فأجرته عن[92] منهاج الدين لا ينفصم عنه ليكون الكل محوطا بنظر الشارع، وكان هذا الحكم لأصحاب الشريعة وهم الأنبياء[93]، ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء، ثم إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة* والتابعين، لأن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند وفاته بادروا إلى بيعة الإمام وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر بعد ذلك وإذا تنصب الإمام وجب على الخلق جميعا طاعته دينا لقوله- تعالى-: {وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}[94]، فمن خالفه فقد خالف الله وحاده[95]، وهي فرض كفاية تنعقد ببيعة أهل الحل والعقد، وقد زعم بعض الشيعة أنها ليست مما يفوض إلى نظر الكافة واختيارهم، بل هي من الأمور التي لا يقوم بها صاحبها إلا بتعيين من نبي،

---

(٩١) الشرائع: جمع شريعة وهي في اصطلاح الفقهاء: ما سنه الله -تعالى- من أقوال على لسان أحد رسله. راجع: د. عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ط٦، بغداد: مكتبة القدس، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٣٨.

(٩٢) هكذا في الأصل، والصحيح: على.

(٩٣) واختار لفظ الأنبياء جمع نبي لأن النبوة أعم من الرسالة، فالنبي هو المُوحي إليه بشرع، والرسول هو من أُنزل عليه كتاب أو جاء بشرع جديد يدعوا الناس إليه، == فكأنما النبي مُكلف بحفظ شريعة الرسول. راجع: د. محمد بيومي مهران، دراسة حول التأريخ للأنبياء، مجلة كلية الآداب، مجلد ٣٩، جامعة الإسكندرية، ١٩٩١-١٩٩٢م، ص٩٦-٩٩.

(٩٤) سورة النساء، آية/٥٩.

(٩٥) حاده: خالفه، يقال حاد فلان فلانا أي: صار في حد غير حده. راجع: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، سابق الإشارة، جـ٥، ص٣٠٣٣.

وإن الإمام يجب أن يكون معصوما من الكبائر والصغائر، وإن عليًّا هو الذي عينه النبي -صلوات الله عليه وسلم- ويستدلون على ذلك بنصوص يلفقونها[96] لا يعرفها جهابذة[97] السنة* ولا نقلة الشريعة أكثرها موضوع[98] أو مطعون في طريقه، وذهب كثير من المحققين على[99] نفي اشتراط القرشية كالإمام الكبير أبي بكر الباقلاني[100]، واستدلوا

**(٩٦)** يلفقونها: يضمونها ويزخرفونها، فهي مُلفقة، أي: أكاذيب مزخرفة. راجع: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م، ج٥، ص٥١١.

**(٩٧)** جهابذة: جمع جهبذ، وهو الخبير بغوامض الأمور.

**(٩٨)** الحديث الموضوع: هو الذي طُعن فيه على الراوي بسبب الكذب على النبي --عليه السلام--، وهو المُختلق المصنوع. راجع: أحمد شاكر، الباعث الحثيث، سابق الإشارة، ص٦٩-٧١. أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، مقدمة في علوم الحديث، القاهرة، دار زاهد القدسي، [دون]، ص٤٧-٤٨. يتم الطعن على الحديث لأسباب شتى، يمكن ردها إلى سببين هما: سقط من الإسناد (الرواة)، أو الطعن في راوي الحديث نفسه. راجع: د. محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، الرياض: مكتبة المعارف، [دون]، ص٦٢ و٨٩-٩٤.

**(٩٩)** هكذا في الأصل، والصحيح: إلى.

**(١٠٠)** أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بابن الباقلاني، انتهت إليه رياسة المذهب المالكي. وكان من كبار المتكلمين على مذهب الأشعري، واشتهر بالجدل والمناظرة. تُوفي (٤٠٣هـ، ١٠١٣م). راجع: أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ط١، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم، ود. على نجيب مطوي ومهدي ناصر الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥-١٤٠٧هـ، ١٩٨٥-١٩٨٧م، مجلد ٦، ج١١، ص٣٧٣-٣٧٤.

على ذلك بالمنقول والمعقول[١٠١]، فمن المنقول قوله -صلى الله عليه وسلم-: «اسمعوا واطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي ذو زبيبة»[١٠٢] ومنه قول عمر -رضي الله عنه-: «لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته»[١٠٣]، ومن المعقول أنه إذا ذهبت الشوكة[١٠٤] بذهاب العصبية والمنعة من قريش فقد ذهبت الكفاية وهي شرط في الخلافة والقول بسقوط هذا الشرط خلاف للإجماع، وكون الكفاية شرط أمر جليٌّ لأنه -سبحانه-

**(١٠١)** المنقول: ما يرجع إلى نص أو نقل وعلى رأسه القرآن الكريم والسنة النبوية. والمعقول: ما يرجع إلى الرأي والعقل كالقياس. راجع: الخضري، أصول الفقه، سابق الإشارة، ص٢٤٢.

**(١٠٢)** أخرجه البخاري عن أنس بن مالك بلفظ «كأن رأسه زبيبة». راجع: الزبيدي، مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح، ط١، المنصورة: مكتبة الإيمان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ص٥٢٥. وورد الحديث في صحيح مسلم بألفاظ أخرى، منها حديث أبي ذر الغفاري: «وإن كان عبدًا مجدع الأطراف»، وحديث يحيى بن حصين عن جدته: «إن أمر عليكم عبد مجدع». وذكر النووي إجماع العلماء على وجوب الطاعة في غير معصية. راجع: شرح صحيح مسلم، سابق الإشارة، جـ١٢، ص٥٣٠-٥٣٥.

**(١٠٣)** سالم بن معقل أصله من اصطخر بخراسان، كان من القراء، استشهد يوم اليمامة وكانت معه راية المجاهدين في (١٢هـ/٦٣٢م). وقيل استشهد معه مولاه أبو حذيفة بن عقب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. راجع: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط١، القاهرة: دار الغد العربي، ١٩٩٦م، جـ٢، ص٢٧-٢٨. ونقل ابن عبد ربه ذلك الأثر عن يونس عن الحسن وهشام عن عروة عن أبيه. راجع: العقد الفريد، سابق الإشارة، جـ٤، ص٢٧٤.

**(١٠٤)** الشوْكة: القوة والبأس. راجع: د. نبيل عبد السلام هارون، المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم، ط١، القاهرة: دار النشر للجامعات، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص١١٧.

إنما* جعل الخليفة نائبا عنه في القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه، وتكلم القاضي عبد الرحمن بن خلدون[١٠٥] عن ذلك فقال: إن الأحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحِكَم تشتمل عليها وتشرع لأجلها، ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة[١٠٦] النبي -صلى الله عليه وسلم- كما هو في المشهور وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلا، لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت، فلا بد إذن من المصلحة في اشتراط النسب هي المقصودة* من مشروعيتها وإذا سبرنا[١٠٧] وقسمنا لم تجدها إلا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن إليه الملة[١٠٨] وأهلها وينتظم حبل

---

(١٠٥) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين التونسي الحضرمي الأشبيلي المالكي (٧٣٢-٨٠٨هـ/١٢٣١-١٤٠٥م)، صاحب المقدمة والمؤرخ المشهور. تنقل بين المغرب والأندلس، وعظم أمره في مصر زمن السلطان برقوق فولاه قضاء المالكية بها، وفيها أتم كتابة تاريخه. راجع: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، سابق الإشارة، جـ٣، ص٢٢٤-٢٢٩.

(١٠٦) بوصلة: الصلة أو الاتصال به.

(١٠٧) سَبرنا: خبرنا، والسَبر: استخراج كنه الأمر. راجع: ابن منظور، لسان العرب، سابق الإشارة، جـ٣، ص٢٣٤.

(١٠٨) الملة: الشريعة أو الدين، وهي ملة باعتبار إملائها على الناس. راجع: د. عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة، سابق الإشارة، ص٣٨.

الألفة فيها، وذلك أن قريشا كانوا أنف مضر [109] وأصلهم وأهل الغلب منهم، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف، فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم، فلو جعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر أن يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكره [110]، فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم* لتحصل اللُّحمة [111] والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما إذا كان الأمر في قريش لأنهم قادرون على سوق [112] الناس بعصا الغلب إلى ما يراد منهم فلا يخشى من أحد خلاف عليهم ولا فرقة لأنهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها، فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة، وإذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها

---

**(١٠٩)** أنف مُضَر: أي لها السيادة والشرف على مُضر، يقال أنف القوم، أي: سيدهم. أما مُضَر فينتهي نسبه إلى عدنان، ومنه تفرعت قبائل قيس وإلياس. وإلى الأخير تنتسب قبائل قريش. راجع تفصيلا في ذلك: القلقشندي، صبح الأعشى، سابق الإشارة، جـ١ ص٣٣٦-٣٦٠.

**(١١٠)** الكره: ما يكرهون كالقتال ونحوه.

**(١١١)** اللُّحمة: القرابة، وهي هنا النسب الواحد الذي يجمعهم لانتسابهم إلى أصل واحد تفرعوا عنه.

**(١١٢)** سوق: قيادة، ويسوق الناس بعصاه كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه، ومنه السوقة أي الرعية. راجع: ابن منظور، لسان العرب، سابق الإشارة، جـ٣ ص٣٦٩-٣٧٠.

كلمة مضر أجمع فأذعن لهم سائر العرب وانقادت الأمم سواهم إلى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد[113] كما وقع في أيام الفتوحات، واستمر بعدها في الدولتين[114] إلى أن اضمحل أمر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون* مضر من مارس أخبار العرب وسيرهم وتفطن[115] لذلك في أحوالهم، وقد ذكر ذلك ابن اسحاق[116] في كتاب السير وغيره، فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة، علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها وطردنا العلة[117] المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية، فاشترطنا في

---

**(١١٣)** قاصية البلاد: أقصاها وأبعدها.

**(١١٤)** الدولتين: الأُموية والعباسية.

**(١١٥)** تفطن: صار حاذقا وماهرا.

**(١١٦)** محمد بن إسحق بن يسار المطلبي بالولاء، قدم بغداد وتوفي بها (١٥١هـ/٧٦٨م). له كتاب المغازي تضمن تاريخ الأنبياء والرسل وحياة النبي --صلى الله عليه وسلم-- ودعوته، فكان أول كتاب يصل إلينا كاملا في موضوعه. راجع: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق: د. ثروت عكاشة، القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٢م، ص ٤٩١-٤٩٢.

**(١١٧)** واستعماله للفظ العلة هنا غير دقيق، لأنه قصد به الحكمة أو المصلحة وهما لا يتفقان في الاصطلاح، فالعلة وصف ظاهر مُنضبط يُبنى عليه الحكم وجود وعدما، أما الحكمة فقد تكون في بعض الأحوال أمرا خفيا أو تقديريا غير منضبط. راجع: خلاف، أصول الفقه، سابق الإشارة، ص ٦٤-٦٦.

القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولي عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية.

## الخلفاء الراشدون

وقد انعقدت الخلافة بعد النبي لأبي بكر الصديق -رضي* الله عنه- باختيار أهل الحل والعقد والبيعة له منهم وخلفه عمر الفاروق باستخلاف أبي بكر له فعثمان فعلي بالاختيار والبيعة لهما وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون[١١٨]

## الخلافة الأموية

كان لبني عبد مناف في قريش جمل من العدد والشرف لا يناهضهم فيها أحد من سائر بطون قريش وكان فخذاهم بنو أمية وبنو هاشم حيا جميعا ينتمون إلى عبد مناف وينسبون إليه وقريش تعرف ذلك وتسأل لهم الرياسة عليهم إلا أن بني أمية كانوا أكثر عددا من بني هاشم وأوفر

---

**(١١٨)** وكانت مدة خلافتهم (٢٩) عامًا ونيف كالتالي: أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ويُقال له عتيق، استخلف في (١١هـ/٦٣٣م) وتُوفي (١٣هـ/٦٣٤م). عمر بن الخطاب بن عبد العزي بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدي، تُوفي (٢٣هـ/٦٤٤م). عثمان بن عفان بن أمية بن عبد شمس، تُوفي (٣٥هـ/٦٥٦م)، علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، تُوفي (٤٠هـ/٦٦١م).

رجالا، وكان لهم قبيل الإسلام شرف معروف إلى حرب ابن أمية[119] وكان رئيسهم في حرب الفجار[120] وحدث الإخباريون أن قريشا تواقعوا[121] ذات يوم وحرب هذا مسند ظهره إلى الكعبة فتبادر إليه* غلمة منهم ينادون يا عم أدرك قومك فقام يجر إزاره[122] حتى أشرف عليهم من بعض الرُبا[123] ولوح بطرف ثوبه إليهم أن تعالوا، فبادرت الطائفتان إليه

(١١٩) حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

(١٢٠) حرب الفجار: سميت بذلك لوقوعها في الأشهر الحرم أو لانتهاك حرمة الكعبة بسببها، وهي فجاران: الأولى وأيامها ثلاث، والثانية وأيامها خمسة وقعت بعد عام الفيل (٥٧١م) بحوالي عشرين عاما، وقد ظهر حرب بن أمية وغلبة قومه في الفجارين بصفته أهم سادة قريش، وجرت تلك الحرب بين كنانة من جهة -ومنها قريش- وقيس من جهة أخرى، ومنها هوازن وثقيف. راجع: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط١، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، جـ١، ص٤٦٧-٤٧٢. أبو جعفر محمد بن حبيب بن أُمية بن عمر الهاشمي البغدادي، المُحَبَّر، تحقيق: سيد كسروي، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص٢١٧-٢٢٠.

(١٢١) تواقعوا: خرجوا للحرب.

(١٢٢) إزاره: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن، أو المِلحفة وجمعه أُزُر. راجع: ابن منظور، لسان العرب، سابق الإشارة، جـ١، ص٦٨-٦٩.

(١٢٣) الرُبا: ما ارتفع عن الأرض.

بعد أن كان حميَ وطيسهم[١٢٤] ثم إن شرف عبد مناف لم يزل في بني عبد شمس وبني هاشم.

فلما هلك أبو طالب وهاجر بنوه مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحمزة كذلك ثم من بعده العباس[١٢٥] والكثير من بني عبد المطلب وسائر بني هاشم خلا الجو حينئذ من مكان بني هاشم بمكة، واستغلظت رياسة بني أمية في قريش ثم استحكمها مشيخة قريش من سائر البطون في بدر وهلك فيها عظماء عبد شمس عتبة وربيعة والوليد وعقبة ابن أبي معيط[١٢٦] وغيرهم، فاستقل أبو سفيان[١٢٧] بشرف بنو

**(١٢٤)** حمي وطيسهم: اشتدت الحرب بينهم.

**(١٢٥)** من أعمام النبي --صلى الله عليه وسلم--: أبو طالب وحمزة والعباس بني عبد المطلب بن هاشم، ولقب حمزة أسد الله، أسلم قبل الهجرة، واستشهد في أحد على يد وحشي بن حرب الحبشي، أما العباس فقد ولد قبل النبي بثلاث سنوات، حضر غزوة بدر ثم أسلم، وتُوفي بين (٣٢-٣٣هـ/٦٥٢-٦٥٣م). راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص١٤٩-١٥.

**(١٢٦)** عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن أُمية أبو هند أم معاوية، جرحه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، ثم أجهز عليه حمزة بن عبد المطلب. ربيعة وربما قصد به شيبة بن ربيعة .أخو عتبة .الذي قتله حمزة بن عبد المطلب في بدر (٢هـ/٦٢٤م). الوليد بن عتبة بن ربيعة قتله الإمام على في بدر، وهو خال معاوية. عقبة بن أبي معيط أبان بن عمرو بن أمية كان أشد الناس عداوة للنبي -صلى الله عليه وسلم- وإيذاء له، أُسر في بدر ثم ضُربت عنقه. راجع: المقريزى، كتاب النزاع والتخاصم، سابق الإشارة، ص٤٣-٤٤ و٤٩-٥١.

أمية والتقدم في قريش وكان رئيسهم في أحد* وقائدهم في الأحزاب[128] وما بعدها، ولما كان الفتح قال العباس للنبي -صلى الله عليه وسلم- لما أسلم أبو سفيان ليلتئذ كما هو معروف وكان صديقا له: «يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له ذكرا»، فقال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، ثم من على قريش بعد أن ملكهم يومئذ وقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» وأسلموا وشكت مشيخة قريش بعد ذلك لأبي بكر لما وجدوه في أنفسهم من التخلف[129] عن رتب[130] المهاجرين الأولين وما بلغهم من كلام عمر في ترك شوراهم[131]، فاعتذر إليهم أبو بكر وقال: «أدركوا إخوانكم بالجهاد» وأنفذهم[132] إلى حروب الردة[133]

(١٢٧) أبو سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، اسمه صخر، أسلم يوم فتح مكة، كان أسن من النبي بعشر سنين. وكان يتجر إلى الشام وغيرها، شهد عدة مواقع في الإسلام توفي عن تسعين عاما، بين (٣١-٣٤/٦٥١-٦٥٤م). راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص١٤٨. وفي سيادته على قريش بعد غزوة بدر: ابن هشام، السيرة النبوية، سابق الإشارة، جـ٣، ص١١-١٢.

(١٢٨) غزوة أحد (٣٠هـ/٦٢٥م)، والأحزاب أو الخندق (٥هـ/٦٢٧م)، والفتح هو فتح مكة في رمضان (٨هـ/٦٣٠م)، غير أن رياسة بني أمية في قريش لا ينبغي أن تحول دون ملاحظة ظهور بني مخزوم في قيادة الحرب ومنهم: خالد بن الوليد ودوره البارز مع قريش في وقائع أحد والأحزاب.

(١٢٩) التخلف: التأخر.

(١٣٠) رتب: مرتبة أي منزلة ومكانة.

(١٣١) شوراهم: مشورتهم.

(١٣٢) أنفذهم: أرسلهم.

فأحسنوا الغناء[١٣٤] عن الإسلام وقوموا الأعراب[١٣٥] عن الحيف والميل ثم جأ[١٣٦] عمر فرمي بهم الروم وأرغب قريشا في النفير[١٣٧] إلى الشام فكان معظمهم* هنالك واستعمل يزيد بن سفيان على الشام وطال أمد ولايته إلى أن هلك في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة فولي مكان[١٣٨]

---

**(١٣٣)** والمرتدون من الأعراب بعد وفاة النبي --صلى الله عليه وسلم-- فرق مختلفة: منهم من منع الزكاة، ومنهم المتنبئون الذين ادعوا النبوة وأتباعهم، وقد عقد أبو بكر أحد عشر لواء لأحد عشر أميرا، فكانوا على رأس جيش لقتالهم جميعا، وانتهت الحروب بانتصار المسلمين بعد حروب امتدت إلى البحرين وعمان واليمن جنوبا، وإلى كندة شمالا. راجع: عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، سابق الإشارة، ص٤٠-٦١. الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص١٦.

**(١٣٤)** الغِناء: النفع، وكأنما استغنى بهم الإسلام. راجع: ابن منظور، لسان العرب، سابق الإشارة، جـ٥، ص٦٧.

**(١٣٥)** الأعراب: سكان البادية أو البدو، ويقابلهم أهل الحضر سكان الأمصار، وقيل: إنه بسبب قسوة قلوبهم وغلظة طباعهم وقلة علمهم بالشريعة أشد خطرا عند المخالفة أو الكفر، وقد ورد هذا المعنى في سورة التوبة، آية/٩٧: «الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله». راجع: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، سابق الإشارة، جـ٥، ص٣٠٧٠-٣٠٧٢. وراجع في مقابلة لفظ بدوي بلفظ عربي: د. توفيق برّو، تاريخ العرب، سابق الإشارة، ص٤٩-٥٣.

**(١٣٦)** هكذا في الأصل: والصحيح: جاء.

**(١٣٧)** النفير: الخروج للحرب والقتال كما في سورة النساء، آية/٧١: «فانفروا ثبات أو انفروا جميعا». والمعنى: انهضوا لقتال عدوكم. راجع: القرطبي، المصدر السابق، جـ٤، ص١٨٤٣-١٨٤٤.

**(١٣٨)** هكذا في الأصل، والصحيح: مكانه، وحكى الذهبي في تاريخه أن طاعون عمواس بناحية الأردن حصل في (١٨هـ/٦٣٩م) وهلك فيه خلق من المسلمين، وذكر منهم: أبو

أخاه معاوية وأقره عثمان من بعد عمر فاتصلت رياستهم على قريش في الإسلام برياستهم قبيل الفتح التي لم تحل صبغتها ولا ينسى عهدها أيام شغل هاشم بأمر النبوة، ونبذوا الدنيا من أيديهم بما اعتاضوا عنها من مباشرة الوحي والقرب من الله برسوله وما زال الناس يعرفون ذلك لبني أمية، وانظر مقالة حنظلة بن زياد الكاتب لمحمد بن أبي بكر[١٣٩] إن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف.

(ولما هلك عثمان) واختلف الناس على علي كانت عساكر على أكثر عددا لمكان الخلافة والفضل* إلا أنها من سائر القبائل من ربيعة ويمن[١٤٠] وغيرهم وجموع معاوية إنما هي جند الشام من قريش شوكة مضر وبأسهم نزلوا ثغور الشام منذ الفتح فكانت عصبيته أشد وأمضى

---

عبيدة بن الجراح الصحابي، ولقبه أمين الأمة، وستأتي ترجمته. راجع: تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ١، ص٧٢-٧٣.

**(١٣٩)** محمد بن أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، ولد في حِجة الوداع، وتولي إمرة مصر للإمام علي (٣٧هـ/٦٥٧م). أُسر وقُتل بعد هزيمته أمام جيش أرسله معاوية إلى مصر (٣٨هـ/٦٥٨م). قيل جُعل في بطن حمار وأُحرق، وقيل أمر عمرو بن العاص بقتله. راجع: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري، فتوح مصر وأخبارها، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ/١٩٩١م. الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص٢٣٦.

**(١٤٠)** تنتسب ربيعة إلى نزار بن معد بن عدنان، وكان يقال ربيعة في مقابلة يمن أي قبائل اليمن، ثم شاع مقابلة قيس بيمن لكثرة بطون قيس وغلبتها بين العدنانية. راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، سابق الإشارة، جـ١، ص٣٣٩.

شوكة ثم كسر من جناح على ما كان من أمر الخوارج[141] وشغله بهم إلى أن ملك معاوية وخلع الحسن[142] نفسه واتفقت الجماعة على بيعة معاوية في منتصف سنة إحدى وأربعين عندما نسي الناس شأن النبوة والخوارق[143] ورجعوا إلى أمر العصبية والتغالب وتعين بنوا أمية للغلب على مضر وسائر العرب ومعاوية يومئذ كبيرهم فلم تتعده الخلافة ولا ساهمه[144] فيها غيره فاستوت قدمه واستفحل شأنه واستحكمت

**(١٤١)** الخوارج: مبدأهم الخارجون على الإمام علي بن أبي طالب لرفضهم التحكيم، وسموا لذلك بالمُحكِمة لقولهم بالاحتكام إلى كتاب الله -تعالى-، أو الحرورية لاجتماعهم في حروراء بظاهر الكوفة، وأهم فرقهم الأزارقة والأباضية، يجمعهم التبرؤ من الإمام علي وعثمان وتكفير مرتكب الكبيرة. راجع: الشهرستاني، الملل والنحل، سابق الإشارة، ص١٠٦-١٠٧.

**(١٤٢)** الحسن بن علي بن أبي طالب، بويع للخلافة في (٤٠هـ/٦٦١م) بعد استشهاد والده، فلم تدم خلافته سوى ستة أشهر، تنازل عن الخلافة إلى معاوية فسمي ذلك العام بعام الجماعة، لاجتماع المسلمين على خليفة واحد، تُوفي وهو ابن تسع وأربعين بين (٤٩-٥١/٦٦٩-٦٧١م). ويوجد خلاف حول ما إذا كان معاوية قد بويع للخلافة قبل ذلك، فقيل كان يُدعى أمير الشام ثم بويع بعد التحكيم، وقيل دُعي بأمير المؤمنين بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب. راجع: السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص١٢٩-١٣٠. ابن حبيب البغدادي، المُحَبَّر، سابق الإشارة، ص٤١. الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص٢٦٥-٢٦٩.

**(١٤٣)** الخوارق: جمع خارق، وهو كل أمر خالف العادة، وألحقها بالنبوة ويقصد معجزاتها.

**(١٤٤)** ساهمه: كان العطار دقيقًا في هذا اللفظ لاشتماله على معنيين هما: لم ينافسه أحد في خلافته ولم يقاسمه أحد فيها.

رياسته وتوثق عهده وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة التي لم يكن أحد* من قومه أوفر منه يدا من أهل الترشيح من ولد فاطمة وبني هاشم وآل الزبير[١٤٥] وأمثالهم ويصانع رؤوس العرب وقروم[١٤٦] مضر بالأغضاء والاحتمال والصبر على الأذى والمكروه، وكانت غايته في الحلم لا تدرك وعصابته فيها لا تنزع وحركاته فيها تزل عنها الأقدام، ذكر إنه مازح عدي بن حاتم[١٤٧] يوما يؤنبه بصحبة علي فقال له عدي: «والله إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا وإن السيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت لنا من

---

**(١٤٥)** الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد الله بن قصي بن كلاب، وقد بويع ابنه عبد الله بالخلافة في الحجاز (٦٤هـ/٦٨٤م)، ثم نازع مروان بن الحكم وولده عبد الملك على الخلافة حتى قُتل في (٧٣هـ/٦٩٣م) في أثناء حصار الحجاج بن يوسف الثقفي لمكة، ويرى السيوطي أن خلافة عبد الملك بن مروان لم تصح إلا منذ مقتل عبد الله بن الزبير، لأن الأخير كان قد بويع بالحجاز، ثم دخل أهل الشام ومصر في طاعته. راجع: تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص١٤١-١٤٣. وأيضا: الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص٥٨٦-٥٩٢. ابن حبيب، المُحبَّر، سابق الإشارة، ص ٤٦-٤٨.

**(١٤٦)** قروم: جمع قرم وهو السيد المُعظم في قومه، وهو قرم مقرم لمنزلته الكريمة. راجع: ابن منظور، لسان العرب، سابق الإشارة، جـ٥، ص٢٤٢-٢٤٣.

**(١٤٧)** عدي بن حاتم ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدى، ولدي حاتم الطائي الذي عرف بجوده أو كرمه الشديد بين العرب، شهد الجمل وصفين مع الإمام علي، وتُوفي بالكوفة عن مائة وعشرين أو مائة وثمانين بين (٦٦-٦٨هـ/٦٨٥-٦٨٧م). راجع: ابن قتيبة، المعارف، سابق الإشارة، ص ٢٩٣ و٣١٣ و٥٨٦ و٥٩٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢ ص٤٧٨-٤٧٩.

الغدر شبرا لندينن[148] لك من الشر باعا[149] وإن حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم[150] لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي فشم السيف[151] يا معاوية يبعث السيف». فقال معاوية: «هذه كلمات حق فاكتبوها»، وأقبل عليه ولاطفه وتحادثا، وأخباره* في الحلم كثيرة ثم تولاها بعده الخلفأ[152] من بني أمية إلى أن زالت دولتهم بالدولة العباسية.

---

**(١٤٨)** هكذا في الأصل، والصحيح: لندنين، أي لنقرين.

**(١٤٩)** باعا: الباع مقدار اليدين، أو طول ذراعي الإنسان وعضديه وصدره، قدره أربع أذراع، بينما يُقدر الشر بستة أذرع. راجع: د. علي جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، ط١، القاهرة: دار الرسالة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢م، ص٣٤-٣٥.

**(١٥٠)** الحلقوم: مجرى الطعام والشراب والنفس وجمعه حلاقم وحلاقيم. الحشرجة: الغرغرة وتردد النفس عند الموت. الحيزوم: الصدر أو وسط الصدر أو الوسط، وقيل ما استدار بالظهر والبطن. راجع: ابن منظور، لسان العرب، سابق الإشارة، جـ٢، ص٧٥. والمعنى أن قطع الرقبة وخروج الروح أهون من الإساءة إلى الإمام علي. وفي استعمال الحلقوم استهانة بالموت لأنها الموضع الذي إذا بلغته الروح لا يقدر على ردها. راجع: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، سابق الإشارة، جـ٩، ص٦٤٠٠-٦٤٠١.

**(١٥١)** شم السيف: يمكن رده إلى شم بمعنى اختبر، ويقال شاممت فلانا إذا قاربته لمعرفة أخباره، ومنه قولهم شاممناهم ثم ناوشناهم. راجع: ابن منظور، لسان العرب، سابق الإشارة، جـ٣، ص٤٧٦. ونقل ابن عبد ربه محاورة عدي بن حاتم، وفيها قوله: «شم السيف فإن سل السيف يسل السيف». وشم بمعنى سله وأغمده لأنها من الأضداد، وهي هنا بمعنى أغمده. راجع: العقد الفريد، سابق الإشارة، جـ٤، ص٢٧-٢٨.

**(١٥٢)** هكذا في الأصل، والصحيح: الخلفاء. وقد دامت خلافة الأُمويين -كما مر بنا- من (٤٠-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م). قام عليها ١٤ خليفة أولهم معاوية الذي مر ذكره. وآخرهم: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، وقُتل في مصر بعد خروج بني العباس عليه.

# الخلافة العباسية

اعلم أن مبداء[١٥٣] هذه الدولة أن أهل البيت لما توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانوا يرون إنهم أحق بالأمر وإن الخلافة لرجالهم دون من سواهم من قريش، وفي الصحيح أن العباس قال لعلي في وجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي توفي فيه: «اذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر إن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا علمناه فأوصي بنا». فقال له علي: «إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده». وفي الصحيح أيضا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في مرضه الذي توفي فيه: «هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا»، فاختلفوا عنده* في ذلك وتنازعوا ولم يتم الكتاب[١٥٤]، وكان ابن عباس[١٥٥] يقول: «إن الرزية[١٥٦] كل الرزية ما حال بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبين ذلك لاختلافهم ولغطهم»[١٥٧] حتى لقد ذهب كثير من الشيعة إلى أن النبي -

---

(١٥٣) هكذا في الأصل، والصحيح: مبدأ.

(١٥٤) والأول حديث صحيح أخرجه البخاري، والآخر من حديث ابن عباس مرفوعا ونصه: «هلموا أكتب لنا كتابا». أخرجه البخاري. راجع: ابن هشام، السيرة النبوية، سابق الإشارة، جـ٤، ص٣٠٥. وراجع أيضا: محمد الغزالي، فقه السيرة، ط٨، خرج أحاديثه: ناصر الدين الألباني، القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص٤٨٥-٤٨٦.

(١٥٥) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي --عليه السلام--، ولقبه حَبر الأُمة وترجمان القرآن، توفي بالطائف في (٦٨هـ/٦٨٧م).

(١٥٦) الرزية: المصيبة.

(١٥٧) لغطهم: اختلاط أصواتهم وجلبتهم.

صلى الله عليه وسلم- أوصى في مرضه ذلك لعلي ولم يصح ذلك من وجه يعول عليه وقد أنكرت هذه الوصية عائشة[158] وكفى بإنكارها وبقي ذلك معروفا من أهل البيت وشيعهم وفيما نقله أهل الآثار[159] أن عمر قال يوما لابن العباس: إن قومكم -يعني قريشا- ما أرادوا أن يجمعوا لكم -يعني بني هاشم- بين النبوة والخلافة فتحموا عليهم[160] وإن ابن عباس نكر ذلك وطلب من عمر إذنه في الكلام، فتكلم بما غضب له وظهر من محاورتهما إنهم كانوا يعلمون أن في نفوس* أهل البيت شيئا من أمر

---

**(١٥٨)** السيدة عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق، عقد النبي --عليه السلام- عليها- بعد وفاة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ودخل بها في المدينة عقب غزوة بدر، تُوفيت في المدينة بين (٥٧-٥٨هـ/٦٧٦-٦٧٧م). راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢ ص٣٥٤-٣٥٨. وذكر النووي إجماع العلماء من أهل السنة على أنه لم ينص على خليفة، واستدلوا عليه بما نقله ابن عمر عن أبيه. راجع: شرح صحيح= =مسلم، سابق الإشارة، جـ١٢، ص٥١٧-٥١٨. وأيضا: الزبيدي، التجريد الصريح، سابق الإشارة، ص٥٢٦. وأخرج مسلم عن السيدة عائشة أن النبي -عليه السلام- أراد أن يوصي لأبي بكر ثم تراجع مخافة اختلاف المسلمين. راجع: السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص٤٢.

**(١٥٩)** الآثار: جمع أثر، يستعمل مرادفًا للحديث النبوي، أو ما أُضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال وأفعال. راجع: الطحان تيسير مصطلح الحديث، سابق الإشارة، ص١٦. وذكر النووي أن السلف وجماهير الخلف اصطلحوا على إطلاق لفظ الأثر على المروي مطلقا سواء عن النبي أو الصحابي. غير أن فقهاء خراسان جعلوا اللفظ خاصا بالموقوف على الصحابي. راجع: شرح صحيح مسلم، المصدر السابق، جـ١، ص٦٠-٦١.

**(١٦٠)** فتحموا عليهم: تشتدوا عليهم.

الخلافـة والعـدول عـنهم بهـا، وفي قصـة الشـورى[161] أن جماعـة مـن الصحابة كانوا يتشيعون لعلي ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به إلى سـواه تـأففوا من ذلـك وأسـفوا لـه مثـل الزبير ومعـه عمـار بـن ياسـر والمقـداد بـن الأسـود[162] وغيرهم إلا أن القـوم لرسـوخ قـدمهم في الـدين وحرصهم على الألفة لم يزيدوا في ذلك على النجوى بالتأفف والأسف، ثـم لما فشـا النكير على عثمـان[163] والطعـن في الأفـاق كان عبـد الله بـن سباء[164] ويعرف بابن السوداء[165] من أشد الناس خوضا في التشيع لعلي

---

**(١٦١)** ويقصد بتلك القصة: الوقائع التي انتهت باختيار عثمان للخلافة. وتبدأ باختيار عمر بن الخطاب لستة من الصحابة المُبشرين بالجنة ليختاروا من يخلفه. وهم: عبد الرحمن بن عوف . سعد بن أبي وقاص . عثمان بن عفان . الإمام علي بن أبي طالب . الزبير العوام . طلحة بن عبد الله. راجع تفصيلا: النجار، الخلفاء الراشدون، سابق الإشارة، ص٢٥١-٢٥٧.

**(١٦٢)** الزبير بن العوام سبق ذكره، وهو أحد الستة أهل الشورى كما مر بنا، قتل في وقعة الجمل سنة (٣٦هـ/٦٥٦م). عمار بن ياسر ابن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين المذحجي مولي بني مخزوم، من نجباء أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، قُتل في صفين (٣٧هـ/٦٥٧م). المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك من ولد الحاف بن قضاعة، أحد السابقين الأولىن في الإسلام، توفي (٣٣هـ/٦٥٧م). راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص١٩٥-٢٠١ و٢٢٥-٣٣٩ و١٦٤.

**(١٦٣)** يقصد ما أنكره أهل بعض الأمصار وبعض الصحابة على عثمان، منه ما قيل عن محاباته بني أُمية في أعمال الدولة وإقطاع الأراضى. راجع على سبيل المثال: السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص١٠٥-١١٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص١٦٨-١٨٣.

**(١٦٤)** هكذا في الأصل، والصحيح: سبأ.

بما لا يرضاه من الطعن على عثمان وعلى الجماعة في العدول إليه عن علي وإنه وُلِّيَ بغير حق فأخرجه عبد الله بن عامر[١٦٦] من البصرة ولحق بمصر فاجتمع إليه جماعة من أمثاله* جنحوا إلى الغلو في ذلك وانتحال المذاهب الفاسدة فيه مثل خالد بن ملجم وسودان بن حمدان وكنانة بن بشر[١٦٧] وغيرهم، ثم كانت بيعة علي وفتنة الجمل وصفين[١٦٨]

---

**(١٦٥)** عبد الله بن سبأ يمني الأصل، كان يهوديا وأظهر الإسلام، ويُقال له ابن السوداء لسواد أمه. اتخذ تعظيم النبي وأهل بيته أساس دعوته في دمشق ثم مصر، مؤلبا أهلها على عثمان بن عفان. وقد نفاه الإمام على عندما إدعي ألوهيته، وأمر بحرق بعض أتباعه بالكوفة. راجع: البغدادي الفرق بين الفرق، سابق الإشارة، ص٢٠٥-٢٠٧.

**(١٦٦)** عبد الله بن عامر ابن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس القرشى عده البعض من الصحابة لرؤيته النبي -عليه السلام- خال عثمان وابن عمة النبى. ولي= =البصرة وغيرها لعثمان ثم لمعاوية لثلاث سنوات، وكانت له فتوحات كبيرة. تُوفي بين (٥٨-٥٩هـ/٦٧٧-٦٧٨م). راجع: الذهبي، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٥٩-٣٦٠.

* ص ١٨ من المخطوط.

**(١٦٧)** كان لهؤلاء النفر مع غيرهم دور هام في دفع المسلمين إلى التناحر بدلا من الصلح، مما كان له أثره في حدوث فتنة الجمل. راجع تفصيلا: النجار، الخلفاء الراشدون، سابق الإشارة، ص٣٩٨. وذكر ابن عبد ربه أن كنانة بن بشر كان ضمن القادة الذين أقبلوا على عثمان فحاصروه، ومعهم بعض المهاجرين والأنصار وانتهى الحصار بقتله. راجع: العقد الفريد، سابق الإشارة، جـ٤، ص٢٩٢-٢٩٥.

**(١٦٨)** كانت وقعة الجمل في (٣٦هـ/٦٥٦م) بين جيش الإمام على ومن خرجوا للمطالبة بدم عثمان بن عفان، وعلى رأسهم الزبير وطلحة الذين قتلا فيها. وكانت السيدة عائشة في هودجها وأهل البصرة يستميتون دون هودجها وجملها فسميت الوقعة بالجمل لذلك، وانتهت بانتصار الإمام على وبيعة أهل البصرة له. وتلتها موقعة صفين (٣٧هـ/٦٥٧م) ضد جيش معاوية، وانتهت بواقعة التحكيم المشهورة. راجع في مُقدمات

وانحراف الخوارج عنه بما أنكروا عليه من التحكيم في الدين وتمحضت شيعته للاستماتة في حرب معاوية مع علي وبويع ابنه الحسن وخرج عن الأمر لمعاوية فسخط ذلك شيعة علي منه وقاموا يتناجون بالسر باستحقاق أهل البيت والميل إليهم وسخطوا من الحسن ما كان منه وكتبوا إلى الحسين بالدعاء له فامتنع وأوعدهم إلى هلاك معاوية فساروا إلى محمد بن الحنفية وبايعوه في السر على طلب الخلافة متى أمكنه وولى على كل بلد رجلا وأقاموا على ذلك ومعاوية يكف بسياسته من غربهم[١٦٩] ويقتلع الداء* إذا تعين له منهم كما فعل بحجر بن عدي[١٧٠] وأصحابه ويروض من شماس[١٧١] أهل البيت ويسامحهم في دعوى تقدمهم واستحقاقهم ولا يهيج أحدًا منهم بالتثريب عليه في ذلك إلى أن مات وولي يزيد وكان من خروج الحسين[١٧٢] وقتله ما هو معروف

---

تلك الفتن ووقائعها: النجار، المصدر السابق، ص٣٨٠ وما بعدها. المسعودى، مروج الذهب، سابق الإشارة، جـ٢، ص٣٦٦-٣٨١.

**(١٦٩)** غربهم: إمعانهم في البعد عنه أي مخالفة طاعته.

* ص ١٩ من المخطوط.

**(١٧٠)** حِجر بن عَدي بن جبلة الكندي الكوفي، له صحبة ووفادة، قتله معاوية لمعارضته سياسته وخروجه على واليه بالعراق زياد بن أبيه، قُتل قريبا من دمشق (٥١هـ/٦٧١م). راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص٣٣٦-٣٣٧.

**(١٧١)** شماس: إباء ورفض.

**(١٧٢)** ولي يزيد بن معاوية في (٦٠هـ/٦٨٠م)، وقد أرسلت إليه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب بعد استشهاده في كربلاء (٦١هـ/٦٨٠م)، عندما توجه إلى الكوفة لطلب الخلافة. راجع: الذهبي، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٩٩-٤٠٨.

فكانت من أشنع الوقائع في الإسلام عظمت بها الشحناء[١٧٣] وتوغل الشيعة في شأنهم وعظم النكير والطعن على من تولي ذلك أو قعد عنه ثم تلاوموا على ما أضاعوه من أمر الحسين وإنهم دعوه ثم لم ينصروه فندموا ورأوا ألا كفارة في ذلك إلا الاستماتة دون ثأره وسموا أنفسهم التوابين[١٧٤] وخرجوا لذلك يقدمهم سليمان بن صرد الخزاعي ومعه جماعة من خيار علي وكان ابن زياد قد انتقض عليه العراق* ولحق بالشام فزحفوا إليه وقاتلوه حتى قتل سليمان وكثير من أصحابه وذلك سنة خمس وستين ثم خرج المختار بن أبي عبيد[١٧٥] ودعا لمحمد بن الحنفية كما قدمناه في خبره وفشا التعصب لأهل البيت في الخاصة والعامة بما خرج عن حدود الحق واختلفت مذاهب الشيعة فيمن هو أحق بالأمر من أهل البيت وبايعت كل طائفة لصاحبها سرا ورسخ الملك

---

**(١٧٣)** الشحناء: العداوة والبغضاء.

**(١٧٤)** التوابون: جماعة قادهم سليمان بن صرد الخزاعي والمُسيب بن نجبة بن ربيعة الفزاري، وهما من أصحاب الإمام علي وشيعته، وقد خرجوا يطلبون ثأر الإمام الحسين، والتوبة من ذنبهم لتخليهم عنه في كربلاء، وكان عبيد الله بن زياد قد ولي الكوفة لمعاوية، ثم ولي العراق لولده يزيد. راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص٤٢٠-٤٢٤ و٤٥٤ و٥٠٨.

* ص ٢٠ من المخطوط.

**(١٧٥)** المُختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، خرج بالكوفة يتتبع قتلة الإمام الحسين، وكان في جيش التوابين، ادعى النبوة وقُتل في (٦٧هـ/٦٨٧م)، على يد جيش أرسله ابن الزبير بقيادة أخيه مصعب، وقيل إنه افتعل كتابا عن محمد بن الحنفية يأمره فيه بنصر الشيعة. راجع: الذهبي، المصدر السابق، جـ٢، ص٤٢٥-٤٣٢ و٤٩٨-٤٩٩.

لبني أمية وطوى هؤلاء الشيعة قلوبهم على عقائدهم فيها وتستروا بها مع تعدد فرقهم وكثرة اختلافهم ونشأ زيد بن علي بن الحسين[١٧٦] وقرأ على واصل بن عطاء[١٧٧] إمام المعتزلة في وقته وكان واصل مترددا في إصابة علي في حرب صفين والجمل فنقل ذلك عنه وكان أخوه محمد الباقر[١٧٨] يعزله[١٧٩] في الأخذ عمن* يرى تخطئة جده وكان زيد مع قوله بأفضلية علي على الصحابة يرى أن بيعة الشيخين[١٨٠] صحيحة خلاف ما عليه الشيعة ويرى إنهما لم يظلما عليا ثم دعته الحال إلى الخروج بالكوفة سنة إحدى وعشرين ومائة واجتمع له عامة الشيعة ورجع عنه بعضهم لما سمعوه يثني على الشيخين وإنهما لم يظلما عليا وقالوا لم

(١٧٦) وإلى زيد بن علي بن الحسين يُنسب الزيدية ومذهبهم، الذين أجازوا الإمامة في أولاد السيدة فاطمة ونسلهم، وأجازوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل، استشهد في (١٢٢هـ/٧٤٠م). راجع: الشهرستاني، الملل والنحل، ص١٥٣-١٥٥.

(١٧٧) واصل بن عطاء الغزال إمام المعتزلة، سموا بذلك عندما اعتزلوا مجلس الحسن البصري، وذلك لقول واصل إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر بل في منزلة بينهما. وقال واصل المتوفي (١٣١هـ/٧٤٨م) في أصحاب الجمل وصفين: إن أحد الفريقين مخطئ فاسق، ورد شهادة الإمام علي وكلًّا من الزبير وطلحة. راجع: البغدادي، الفرق بين الفرق، سابق الإشارة، ص٣٥.

(١٧٨) محمد الباقر بن علي بن الحسين، وإليه ينتسب الباقرية والجعفرية، قال شيعته بإمامته وإمامة ابنه جعفر الصادق من بعده، ثم اختلفوا من بعدهما، فمنهم من توقف عند إمامة أحدهما وقال برجعته. راجع: الشهرستاني، المصدر السابق، ص١٦٦-١٧٠.

(١٧٩) يعزله: يبعده عنه وينحيه.

(١٨٠) الشيخان: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب.

يظلمك هؤلاء ورفضوا دعوته فسموا الرافضة[١٨١] من أجل ذلك، ثم قاتل يوسف بن عمر[١٨٢] فقتله يوسف وبعث برأسه إلى الشام وصلب شلوه[١٨٣] بالكناسة[١٨٤] ولحق ابنه يحيى بخراسان[١٨٥] فاقام[١٨٦] بها ثم دعته شيعته إلى الخروج فخرج هنالك سنه خمس وعشرين وصرح[١٨٧]

**(١٨١)** افترق الرافضة فرقا، وجعل البغدادي السبأية على رأسهم، ثم قسمهم بعد زمن الإمام علي إلى أربعة أصناف تفرعت عن الزيدية والكيسانية والإمامية، وصنف رابع سماه الغُلاة، وقد تفرعت بدورها فبلغت فرق الروافض عنده عشرين، فضلا عن فرق الغُلاة الذين قالوا بألوهية الأئمة وأسقطوا فرائض الشريعة وأباحوا الكثير مما حرمته. =راجع: الفَرقُ بينَ الفِرَق، سابق الإشارة، ص٣٥-٣٧ و٢٠٢-٢٠٤. الشهرستاني، الملل والنحل، سابق الإشارة، ص١٥٥.

**(١٨٢)** يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي ابن عم الحجاج، ولي عدة ولايات لبني أمية، قتل في سجن يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بالشام في (١٢٧هـ/٧٤٥م). وقد أرسلت رأس زيد بن علي إلى هشام بن عبد الملك بالشام الذي دامت خلافته (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٢م). راجع: ابن قتيبة، المعارف، سابق الإشارة، ص٢٦٧-٢٦٨ و٤٢٠. وفي تلك الواقعة تفصيلًا: الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، سابق الإشارة، جـ١، ص١٢٧-١٢٥.

**(١٨٣)** شلوه وشلو وشلا: الجلد والجسد من كل شيء، أو العضو أو القطعة من اللحم، وكل مسلوخة أُكل منها شيء فبقيتها شلو. راجع: ابن منظور، لسان العرب، سابق الإشارة، جـ٣، ص٤٦٧-٤٦٨.

**(١٨٤)** الكُناسة: محلة بظاهر الكوفة.

**(١٨٥)** خراسان: إقليم ببلاد فارس.

**(١٨٦)** هكذا في الأصل، والصحيح: فأقام.

**(١٨٧)** هكذا في الأصل، والصحيح: سرح.

إليه نصر نصر بن سيار العساكر مع سالم بن أحور المازني[188] فقتلوه وبعث برأسه إلى الوليد وصلب شلوه* بالجوزجان وانقرض شأن الزيدية بالجوزجان وأقام الشيعة على شأنهم وانتظار أمرهم والدعاء لهم يدعون للرضا من آل محمد ولا يصرحون بمن يدعون له حذرًا عليه من أهل الدولة وكان شيعة محمد بن الحنفية أكثر شيعة أهل البيت وكانوا يرون أن الأمر بعد محمد بن الحنفية لابنه أبي هشام عبد الله وكان كثيرا ما يغدوا على سليمان ابن عبد الملك[189] فمر في بعض أسفاره على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بمنزله بالحميمة من أعمال البلقأ[190] فنزل عليه وأدركه المرض عنده فمات وأوصى له بالأمر وقد

---

(١٨٨) هكذا في الأصل، والصحيح: نصر بن سيار، وكان نصر بن سيار والي خراسان من قبل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، فخرج عليه يحيى بن زيد بن علي بن= =الحسين في إحدى نواحي خراسان عرفت بالجوزجان، وبعث إليه نصر بجيش من ثلاثة آلاف رجل على رأسه سالم بن أحور أو -أحوز- المازني، فقتله في (١٢٥هـ/٧٤٣م). راجع: البغدادي، الفرق بين الفرق، سابق الإشارة، ص٤٥. أما الوليد فقد اتهم بالفسق= =والكفر، فقتل في (١٢٦هـ/٧٤٣م). راجع: السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص١٦٦-١٦٧. وفي تلك الواقعة تفصيلا: الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، سابق الإشارة، جـ١، ص١٥٢-١٥٨.

(١٨٩) هكذا في الأصل، والصحيح: يغدو. وكانت خلافة سلميان بن عبد الملك بن مروان بعد وفاة أخيه الوليد، توفي في (٩٩هـ/٧١٧م)، ومن مناقبه استخلافه عمر بن عبد العزيز. راجع: السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص١٥٠-١٥١.

(١٩٠) هكذا في الأصل، والصحيح: البلقاء، وهي من أعمال دمشق، وكانت تقع بين الشام ووادي القرى.

كان أعلم شيعته بالعراق وخراسان أن الأمر صائر إلى ولد محمد بن علي هذا فلما مات قصدت الشيعة محمد بن علي وبايعوه سرا وبعث الدعاة منهم إلى الآفاق على رأس مائة من الهجرة* أيام عمر بن عبد العزيز[١٩١] وإجابه عامة أهل خراسان وبعث عليهم النقباء[١٩٢] وتداول أمرهم هنالك وتوفي محمد سنة أربع وعشرين، وعهد لابنه إبراهيم وأوصى الدعاة بذلك وكانوا يسمونه الإمام ثم بعث أبو مسلم[١٩٣] بولايته ثم قبض مروان بن محمد على إبراهيم الإمام وحبسه بخراسان فهلك

**(١٩١)** عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وكانت خلافته بين (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م). يعتبره البعض من الخلفاء الراشدين لعدله وإظهاره سيرتهم في الحكم، ولذا ذكر السيوطي من الموافقات أن مدة خلافته نحو خلافة أبي بكر الصديق (سنتين= =وخمسة أشهر) ورجح موته مسموما لضيق بني أمية بسياسته. راجع: نفس المصدر، ص١٥٢-١٥٣ و١٦٣.

**(١٩٢)** النقباء: كان العطار موفقًا في استعمال هذا اللفظ، فالنقيب شاهد قومه وضمينه وأمينه، وهو من تكلف بدعوة قومه للإيمان، وقد شُبهوا هنا بنقباء بني إسرائيل، ونقباء بيعتي العقبة في مكة قبل الهجرة. راجع: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، سابق الإشارة، جـ٤، ص٢١٠٩. د. نبيل عبد السلام هارون، المعجم الوجيز لألفاظ القرآن، سابق الإشارة، ص٢٠٦.

**(١٩٣)** اختلف في أصل أبو مسلم الخراساني عبد الرحمن بن مسلم، قيل من أصبهان أو خراسان، وقيل عربي أو كردى. وإليه وجماعته كبير فضل في نشأة دولة العباسيين، قبل أن يقتله أبو جعفر المنصور (١٣٧هـ/٧٤٥م). راجع: السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص١٧٠-١٧٣. ابن قتيبة، المعارف، سابق الإشارة، ص٣٧٠٩-٣٧١ و٤٢٠. المسعودي، مروج الذهب، سابق الإشارة، جـ٣، ص٣٠٢-٣٠٦.

هنالك لسنه وملك أبو مسلم خراسان ورجف[194] إلى العراق فملكها كما ذكرنا ذلك كله من قبل وغلبوا بنو أمية على أمرهم وانقرضت دولتهم وتولاها الخلفاء من آل العباس.[195]

## الخلفاء الفاطميون

إن هؤلاء الخلفاء ينسبون إلى الحسين بن علي -رضي الله عنه- وقد كانت الشيعة في أمر الخلافة فرقا ومنهم الإسماعيلية[196] يقولون إن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه* وإن الإمام بعد إسماعيل هو ابنه محمد المكتوم وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق وبعد جعفر ابنه محمد الحبيب وبعد[197] ابنه عبيد الله وكانوا يؤملون ظهور دولة لهم ويدعون الناس لذلك وخرج من دعاتهم أبو عبد الله الشيعي[198] فأسس لعبيد الله هذا الدولة الفاطمية في المغرب

---

**(١٩٤)** هكذا في الأصل، والصحيح: زحف.

**(١٩٥)** دامت خلافتهم في بغداد (١٣٣-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)، قام عليها ٣٧ خليفة، قبل أن تنتقل تلك الخلافة إلى القاهرة كما سيأتي.

**(١٩٦)** الإسماعيلية قالوا إن الإمامة بعد جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين في ولده إسماعيل، ثم افترقوا بعد ذلك: فرقة توقفت عنده تنتظر رجوعه، وأخرى جعلت الإمامة بعد إسماعيل في ابنه محمد، وإلى الرأي الأخير مالت الباطنية. راجع: البغدادي، الفرق بين الفرق، سابق الإشارة، ص٦٢-٦٣. الشهرستاني، الملل والنحل، سابق الإشارة، ص١٧٠-١٧١.

**(١٩٧)** هكذا في الأصل، والصحيح: وبعده.

**(١٩٨)** أبو عبد الله الحسين بن محمد بن زكريا عرف بالشيعي، دعا إلى إمامة عبيد الله المهدى، فأسس لدولته في المغرب، وأخرجه من سجنه وبايعه. راجع: السيوطي، تاريخ

واستعان على ذلك بقبائل كتامة[199] ثم فتحوا مصر وأسسوا القاهرة وتولى الخلافة الفاطمية أبناؤهم دهرا واستولوا على كثير مما كان في حوزة الدولة العباسية حتى شاطروها ملك الشرق وقد نفاهم العباسيون من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضى والمرتضى[200] وأبو حامد الإسفرايني[201] في سنة

الخلفاء، سابق الإشارة، ص٢٦٦-٢٦٧. وقد قُتل أبو عبد الله الشيعي -ومعه أخيه- على يد عبيد الله المهدي، وقيل قتلهما حين شكا في حقيقة نسبه الفاطمي! راجع: ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، سابق الإشارة، ص٣٦-٤٤.

**(١٩٩)** كِتامة من البرابرة أو البربر، وقد اختلف في أصل البربر فقيل من العرب، وأكثرهم ببلاد المغرب وديار مصر، ويرد البعض أصول البربر إلى سبع قبائل منها قبيلة كِتامة المُشار إليها وأكثرهم ببلاد المغرب. راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، سابق الإشارة،= =جـ١، ص٣٦٠-٣٦٦. أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح: رفن جست، القاهرة: مؤسسة قرطبة، [دون]، ص٢٦٨.

**(٢٠٠)** الشريف الرضي والمرتضي ولدا الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسي بن محمد بن إبراهيم بن موسي الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين. وقد انتهت إليهما نقابة الطالبيين، وكانت لهما مكانتهما في الأدب، توفي الشريف الرضي في (٣٥٩-٤٠٦هـ/٩٦٩-١٠١٥م)، وتوفي الشريف المرتضي (٣٥٥-٤٣٦هـ/٩٦٥-١٠٤٤م). راجع: ابن كثير، البداية والنهاية، سابق الإشارة، مجلد ٦ جـ١٢، ص٤-٥.

**(٢٠١)** هكذا في الأصل، والصحيح: الإسفراييني. وهو: أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني (٣٤٤-٤٠٦هـ/٩٥٥-١٠١٥م) أحد كبار فقهاء الشافعية في عصره. راجع: ابن كثير، المصدر السابق، مجلد ٦ جـ١٢ ص٣-٤.

نص المخطوط والتحقيق

اثنين وأربعمائة أيام القادر[٢٠٢]* وسجل القضاة ذلك وأشاعوه في الأنحاء للغض منهم[٢٠٣]

## الخلافة العثمانية

قام بأمر الخلافة الإسلامية الخلفاء العثمانيون[٢٠٤] وقد بايع للسطان سليم[٢٠٥] منهم الخليفة العباسي وانتقلت الخلافة لهم وبقيت فيهم

---

**(٢٠٢)** القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر، كانت خلافته بين (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩٢-١٠٢٠م). وشهدت خلافته مقتل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وضعف دولة الفاطميين، فخرجت من طاعتها بعض بلاد الشام. راجع: السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص٢٧٢-٢٧٦. وقد نقل ابن كثير عن ابن الجوزي واقعة الإشهاد المذكورة على نفي نسب الخلفاء الفاطميين. راجع: البداية والنهاية، سابق الإشارة، مجلد ٦، جـ١١، ص٣٦٩-٣٧٠.

**(٢٠٣)** دامت الخلافة الفاطمية من (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م)، قام عليها ١٤ خليفة، منهم ١١ خليفة اتخذوا القاهرة مركزًا لخلافتهم من (٣٥٨هـ/٩٦٩م).

**(٢٠٤)** ينسب العثمانيون إلى عثمان الأول (٦٩٩-٧٢٦هـ/١٢٩٩-١٣٢٦م)، وينحدرون من قبائل تركية كانت تعيش على الرعي في آسيا الوسطى، ثم هاجرت إلى آسيا الصغرى بين القرنين ١١ و١٣م. وكان عثمان قد أكد استقلال أتباعه عن دولة سلاجقة الروم، ويُقال إن اعتناق الإسلام كان في عهده، وقيل في عهد سلفه أرطُغُرل. وقد لعب الإسلام دورًا حيويا في ترابط العثمانيين وتوسعهم العسكري. راجع: د. عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، سابق الإشارة، ص٣٠-٣٣. د. نور فرحات، التاريخ الاجتماعي للقانون في مصر، سابق الإشارة، ص ٨٩-٩٠.

**(٢٠٥)** حكم السلطان سليم الأول سنوات (٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م)، وتمكن من تأمين دولته من جهة الشرق بهزيمة الصفويين في فارس، والاستيلاء على البلاد التي حكمها المماليك بالشام ومصر (٩٢٣هـ/١٥١٧م). وكانت الخلافة العباسية قد انتقلت إلى القاهرة على يد السلطان بيبرس (٦٥٩هـ/١٢٦١م)، بعد سقوطها بغداد في قبضة

يتداولونها بالإرث والاستحقاق ببيعة الكافة لهم واحدا بعد واحدا[206] إلى الآن وقد دان لهم الترك والصقلب[207] والعرب والشام ومصر والمغرب ودعي لهم على المنابر شرقا وغربا وجاهدوا في الله حق جهاده وقاتلوا الكافرين وحموا حمى الدين قرونا عديدة وأدهار مديدة ولهم في ذلك الأيام الصالحات والمأثر[208] الطيبات والمناقب[209] التي لم يداينهم[210] فيها مدان على توالي الدول والأزمان فمن ذلك أنه لما ضعف أمر الخلافة في الإسلام فكانت في بغداد لدى المستضعفين من العباسيين الذين لا يحلون ولا يعقدون كما قيل:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا[211]

التتار. وآخر الخلفاء العباسيين زمن الغزو العثماني هو المتوكل على الله الثالث الذي مر ذكره.

(٢٠٦) هكذا في الأصل، والصحيح: واحدا بعد واحد.

(٢٠٧) صقلب: صقالبة وتتاخم بلادهم بلاد الخَزَر في روسيا.

(٢٠٨) هكذا في الأصل، والصحيح: المآثر.

(٢٠٩) مناقب: جمع مَنقبة أي مفخرة ومكرمة.

(٢١٠) هكذا في الأصل، وربما كان يقصد: يدانيهم.

(٢١١) وصيف وبغا ومعهم باغر من الأمراء الأتراك الذين طغى نفوذهم زمن الخليفة المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م). وقد تآمروا على قتله واستصفاء أمواله وجواريه، وأقاموا ولده المنتصر بالله محمد المتوفي (٢٤٨هـ/٨٦٢م). وقيل هذا الشعر لوصف عجز المُستعين، قبل أن يأمر بقتل وصيفا وبغا ونفي باغر. راجع: السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص٢٣٣ و٢٣٨. وراجع أيضا بالتفصيل: تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي، جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء،

يقول ما قالا له　　　　كما تقول الببغا

وقد استولى الأعداء على الأطراف وتوغلوا في سائر الأكناف[212] إلى أن انتهى الأمر باستيلاء التتار على بغداد[213] وقتل الخليفة وانتهاك حرمة الملة وذهاب الدولة والصولة وكذلك آل حال الخلفاء الفاطميين في مصر إلى أسواء[214] الحالات حيث تولي في آخرهم الظافر وسنه سبعة عشر سنة فقتله وزيره وولى ابنه الفائز وعمره خمس سنين وحمله على كتفيه وطلب البيعة له من القوم وصاحوا بالإجابة صيحة فزع بها الصبي فبال على كتف الوزير[215] وانحطت درجة الخلافة الإسلامية* إلى

تحقيق: د. مصطفي جواد، ذخائر العرب، ٢٨، القاهرة، دار المعارف، [دون]، ص٩٢-٩٨.

**(٢١٢)** الأكناف: النواحي، جمع كَنف أي جانب الشيء.

**(٢١٣)** وذلك في زمن الخليفة المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر، الذي حكم بين (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٣-١٢٥٨م). قتلة التتار بعد أن ملكوا بغداد وخربوها. راجع: السيوطي، المصدر السابق، ص٣٠٨ وما بعدها.

**(٢١٤)** هكذا في الأصل، والصحيح أسوأ.

**(٢١٥)** الظافر بأمر الله إسماعيل بن عبد المجيد الحافظ بن محمد المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله (٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٥٤-١١٦٠م). وبعد مقتله خلفه ابنه الفائز بنصر الله عيسى حتى (٥٥٥هـ/١١٦٠م). وفي كلامه إشارة لغلبة نفوذ السودان من الجند وسطوة الوزراء. وقيل إن العادل وزير الظافر كان قد قتله لأسباب تتعلق بعلاقة الخليفة بابن العادل. راجع: ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص١٠٦-١٠٨.

هذا الحد من الصغار وهكذا الخلافة في الأندلس[٢١٦] أصبحت ملعبة يدعيها كل شيخ قرية لا يملك من أمر المسلمين حتى قال الشاعر:

وتفرقوا شيعا فكل محلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

ثم تداول هذا الحال حتى انقطعت الخلافة الإسلامية المصحوبة بالقوة والسلطان والحكم والتنفيذ في امر الدين والدنيا وكاد الشرق يصبح كالأندلس لا سلطان فيه للإسلام أيد الله بروحه هذه العصابة الإسلامية الجليلة من آل عثمان فأيدت الدين ومكنته وأنعشت الإسلام وقوته وأحيت الخلافة كأحسن ما تكون عزا وشأنا وجاها وسلطانا وقاتلوا دونها أعداء الإسلام أعواما وأعواما وأهرقوا في ذات الله دماء وحفظوا* للإسلام المواطن المقدسة مكة والمدينة وبيت المقدس مهبط الوحي ومتنزل الملائكة وقبلة الأمة وقبور النبيين ومن مناقبهم أنهم أحيوا السنة واماتوا البدعة وأكرموا أهل البيت ولم ينتهكوا حرمات المسلمين ولا قامت على يدهم ضلالة، فهم أقرب الناس في أعمالهم بالسلف الصالح والأولين الطيبين الطاهرين لم يشبهم ما شاب دول الخلفاء من بني أمية وبني العباس والفاطميين وجرى على يدهم أو يد أعوانهم من

(٢١٦) انقسمت دولة الخلافة الأُموية بالأندلس منذ القرن الخامس الميلادي إلى إمارات، وحكمها ملوك سموا ملوك الطوائف، وقد اتخذ بعضهم لقب خليفة، ومنهم بنو حمود الذين لُقب منهم أربعة بالخلافة في وقت واحد، في مكان لا يتجاوز ثلاثين فرسخًا. وذكر السيوطي أنه اجتمع في عصر واحد ستة كلهم تسمى بالخلافة. راجع: تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص١٨. د. على حسني الخربوطلي، غروب الخلافة الإسلامية، القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، [دون]، ص١٠٠-١٠٣.

السوء في أمر الدين والدنيا هذه الدولة الأموية كان يلعن فيها عليًّا على المنابر وهو زوج البتول[٢١٧] وابن عم الرسول والذي قيل فيه من كنت مولاه فعليٌّ مولاه[٢١٨] وقتل فيها الحسين -رضي* الله عنه- وصلب زيد بن علي بالكناسة واستبيحت المدينة واجترئ على أمهات المؤمنين أزواج النبي -عليه الصلاة والسلام- ورميت الكعبة بالمنجنيق وقتل مائة ألف في سجن الحجاج صبرا وحسبك بدولة الحجاج إحدى سيئاتها واجترئ فيها على أهل بيت النبوة وهم أقرب الناس إليهم وأعرفهم بحقهم[٢١٩] حتى قال القائل فيما وقع لهم منهم:

---

**(٢١٧)** السيدة فاطمة الزهراء ولقبها البتول، بنت النبي -عليه السلام-، توفيت في عقبه (١١هـ/٦٣٣م). والتبتل: الانقطاع للعبادة، وهناك آثار كثيرة في عبادتها وفضلها -رضي الله عنها. راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص٢٣-٢٥.

**(٢١٨)** راجع في مُناسبتها: محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، ط١، القاهرة، دار المنار، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، جـ٣، ص١٠٩، و١١٠-١١٢.

**(٢١٩)** استبيحت المدينة لأول مرة في واقعة الحِرة سنة (٦٣هـ/٦٨٢م) زمن يزيد بن معاوية، استباحها قائد جيشه إلى المدينة مسلم بن عقبة بسبب خروجهم عن طاعة يزيد، فقتلوا ونهبوا واستحلوا الحرمات، وحوصرت الكعبة وضربت بالمنجنيق (الحجارة) على يد الحجاج المذكور في (٧٣هـ/٦٩٢م) زمن عبد الملك بن مروان. وفي ترجمة أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (٤١-٩٥ هـ/٦٦١-٧١٣م): أنه قتل مائة وعشرين ألفا وسجن= =ما يزيد عن ثلاثين ألفا. راجع في تفاصيل تلك الانتهاكات، السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص ١٣٩-١٤٠. أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي عرف بابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، [دون]، جـ١، ص ١٠٨، و١١١. المسعودي، مروج الذهب، سابق الإشارة،

فليس حي من الأحياء نعرفه من ذي يمان ولا بكر ولا مضر

إلا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك إيسار على جزر[٢٢٠]

وهكذا ظل بعض خلفائهم لا يحفلون بالمهاجري ولا يصونون الأنصاري يهدمون الكعبة ويستعمن دون الصحابة ويختمون أعناق الأحرار وهكذا الدولة العباسية بدأت أعمالها بقتل* رجال الدولة الأموية وبسطت الفرش للسفاح[٢٢١] على أجسادهم وأكل الطعام واتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا[٢٢٢] يغرقونه على الديلمي

جـ٣، ص١٧٥-١٧٦. ابن الأثير، الكامل، سابق الإشارة، جـ٤، ص٥٠٨٥ و٥٨٧، جـ٥، ص ٢٩٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ١، ص٤١٠-٤١٥ و٥٠٢ و٥٣٥-٥٣٨.

**(٢٢٠)** الإيسار والميسر: ضرب من القمار عرفه العرب في جاهليتهم، يضربون فيه قداحا عددها إحدى عشر، ويقتسمون ما راهنوا عليه من جزر وفق ما تظهر القداح. والجُزر: ما صلح للذبح من الشاة. راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، سابق الإشارة، جـ١، ص٤٠٠-٤٠١.

* ص ٣٠ من المخطوط.

**(٢٢١)** السفاح أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس حكم بين (١٣٣-١٣٦هـ/٧٥٠-٧٥٤م). ذكر السيوطي أنه قُتل في مبايعة السفاح من بني أمية ما لا يُحصى من الخلق. راجع: تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص١٧١. وفي مروج الذهب أنه مثَّل بجثث خلفاء بني أمية انتقاما لزيد بن علي. راجع: المسعودي، سابق الإشارة، جـ٣، ص٢١٩-٢٢٠.

**(٢٢٢)** خولًا: عبيدا. دولا: يتداولون المال بينهم دون سواهم. والعجيب أن الحديث الذي يحتج به هنا ضد بني العباس كان يحتج به المعارضون من قبل ضد خلفاء بني أُمية. وهي واقعة مشهورة بسطها ابن الجوزي، وخلاصتها: كان خبيب بن عبد الله بن الزبير قد حدث عن النبي -عليه السلام-: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله

والفرغاني[٢٢٣] وأهل السخرية والخلاعة من شعرائهم وندمائهم كابن أبي مريم المديني وزلزل الضارب وبرصوما الزامر[٢٢٤] وأوقعوا بالأئمة كأبي حنيفة ومالك[٢٢٥] وأمثالهم بينما تراهم يكرمون بختيشوع[٢٢٦] وأمثاله

---

خولا ومال الله دولا». وقد بعث الوليد بن عبد الله إلى واليه على المدينة عمر بن عبد= =العزيز بعقابه، فحبسه وضربه مائة سوط فمات. راجع: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ط١، الإسكندرية: دار ابن خلدون، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٣٣-٣٥.

**(٢٢٣)** الديلمي والفرغاني: صنفان من العجم، وأصل الديلم أذربيجان، والفرغاني نسبة إلى فرغانة (أزهرخانة) بالقرب من سمرقند، ويسمى أمير الفرغانيين: أخشيد، ولذا لُقب به الأخشيديون الذين حكموا مصر بين (٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٩م).

**(٢٢٤)** وهم جماعة من ندماء وجلساء بعض خلفاء بني العباس: هارون الرشيد والمأمون، وكان للرشيد جماعة من المغنيين على رأسهم: إبراهيم الموصلي وفيهم زلزل،= =وزامِر يقال له برصوما. راجع: ابن عبد ربه، العقد الفريد، سابق الإشارة، جـ٦، ص٣١-٣٢ و٣٧.

**(٢٢٥)** أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي مولدا والفارسي الأصل (٨٠-١٥٠هـ/٦٩٩-٧٦٧م) عرض عليه القضاء زمن الخليفة المنصور العباسي، فرفض وحُبس وعُذب ومُنع من التدريس حتى مات بعد ذلك بقليل، ونال بذلك جزاء رفضه وميوله السياسية نحو العلويين، مالك بن أنس الأصبحي (٩٣-١٧٩هـ/٧١١-٧٩٥م) كانت محنته في عهد الخليفة نفسه، لقوله ببطلان طلاق المُكره، وكان قوله ذريعة لإبطال بيعة المنصور، لأن العلويين قالوا إن بيعته أُخذت كرها. راجع: أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٣٣٦-٣٦٩ و٤٠٦-٤٠٨.

**(٢٢٦)** اشتهر عدة أطباء بمُجالسة بعض الخلفاء العباسيين كالمأمون، ومنهم: بختيشوع وسلمويه وابن ماسويه، وقيل أدرك بختيشوع الخليفة المتوكل وجالسه. راجع: ابن عبد ربه، العقد الفريد، سابق الإشارة، جـ٦، ص٢٤٥. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة

ويؤاكلونهم ويصاحبونهم ويجيزون من ألف كتابا سوفسطائيا[٢٢٧] أو مانويا[٢٢٨] بينما يصلبون من نظم قصيدة في أهل بيت النبوة كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري[٢٢٩] واجتراء الناس لوضع الاحاديث المختلفة تقربا وتزلفا* وأقام خلفاؤهم

---

العربية، سابق الإشارة، جـ٢، ص٢٩-٣٠، جـ٣، ص٢٢١. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، كتاب عيون الأخبار، تصحيح: أحمد زكي، الذخائر، ١٠١-١٠٤، هيئة قصور الثقافة، أول أغسطس ٢٠٠٣- منتصف سبتمبر ٢٠٠٣م، جـ١، ص٣٠٩، جـ٢، ص١٠٣، جـ٤، ص٩٤.

**(٢٢٧)** أطلق سوفسطائي على مُعلمي الفلسفة والخطابة في اليونان القديمة منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وانحصر دورهم فيما بعد في تلقين فن البيان الشكلي. راجع: المعجم الفلسفي المختصر، موسكو: دار التقدم، ١٩٨٦م، ص٢٥١-٢٥٢. الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها من الإنجليزية: فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق، راجعها: د. زكي نجيب محمود، بيروت: دار القلم، [دون]، ص٢٦٧.

**(٢٢٨)** مانوي نسبة إلى ماني بن فاتك الحكيم، ظهر بعد المسيح وأنكر نبوة موسي -عليه السلام-. ويعتقد أتباعه بتناسخ الأرواح، وقال بفكرته فرق كثيرة مثل: الروandية، فقالوا بتناسخ روح الإله في الأئمة كما سيأتى. راجع: البغدادي، الفرق بين الفرق، سابق الإشارة، ص٢٣٥-١٣٦. وراجع في بعض آراء المانوية والسوفسطائية: أبو حيان التوحيدي ومسكويه، الهوامل والشوامل، نشره: أحمد أمين والسيد أحمد صقر، الذخائر، عدد ٦٨، القاهرة: هيئة قصور الثقافة، [دون]، ص٢١٣ و٢١٩ و٤٣٣-٤٣٤.

**(٢٢٩)** أبو الفضل منصور بن سلمة الزبرقان عربي من النمر بن قاسط، كان مُقربا من الخليفة الرشيد ومن مادحيه. راجع في بعض مديحه: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، الاقتباس من القرآن الكريم، تحقيق: د. ابتسام مرهون الصفار، ود. مجاهد مصطفي بهجت، الذخائر، عدد ١٠٧-١٠٨، نوفمبر ٢٠٠٣م، ص١٦٦ و١٧٥.

وقضاتهم فتنة القول بخلق القران[230] يذيقون عليها أئمة المسلمين ألوان الهوان ويملؤون بهم السجون وغير ذلك من البدع والضلالات حتى تفرق المسلمين شيعا في معتقداتهم وحدثت المذاهب المختلفة كالجبرية والراوندية القائلين بعبادة الخلفاء والقرامطة[231] الذين نهبوا

---

**(٢٣٠)** هكذا في الأصل، والصحيح: القرآن. وقد شغلت مسألة خلق القرآن المسلمين زمن الخلفاء العباسيين: المأمون والمعتصم والواثق، فقد انحاز المأمون إلى مذهب المعتزلة في القول بخلق القرآن، تبعًا لنفيهم صفات القدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام عن الله -تعالى- وفي عهد المعتصم جرى دعوة الناس والعلماء جبرا لاعتناق مذهب المعتزلة في القرآن، وبسببها وقعت عقوبات مثل: الحرمان من وظائف الدولة وإسقاط الشهادة والسجن والتعذيب. وممن خضع للتعذيب: ابن حنبل والبويطي الشافعي المصري. راجع: السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص٢٠٢ و٢٠٤-٢٠٨ و٢٢٣. أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، سابق الإشارة، ص١٥١-١٥٧ و٤٨٠-٤٨٩، ٤٦٤-٤٦٦. الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، سابق الإشارة، ص٤٤٦ و٤٤٩ و٤٥١.

**(٢٣١)** مذهب الجبرية: نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الله -تعالى-، أي: إنكار الاستطاعة. ومن أصنافهم: الجهمية أتباع جهم بن صفوان (١٢٨هـ/٧٤٥م)، ورغم إنكاره الاستطاعة خرج على الأمويين وقُتل بسبب خروجه. راجع: البغدادي، الفرق بين الفرق، سابق الإشارة، ص١٨٦. الشهرستاني، الملل والنحل، سابق الإشارة، ص٧٢-٧٤. الراوندية: أتباع أبي الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق توفي (٢٩٨هـ/٩١٠م). كان معتزليا ثم خالفهم، ويرميه أغلب أهل السنة بالزندقة ويجعلهم الأشعري من فرق الرافضة التي ادّعت أن النبي -عليه السلام- أوصى بالخلافة إلى العباس بن عبد المطلب ثم بنيه من بعده حتى أبو جعفر المنصور، وانقسم الراوندية بسبب خلافهم في شأن أبي مسلم الخراساني إلى: رزامية تقول بمقتله، ومسلمية تقول بأنه حر لم يمت، وأنه صار إلها بحلول روح الإله فيه. راجع: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط٤، صححه: هلموت ريتر، الذخائر، عدد ٦١، القاهرة:

الحج واقتلعوا الحجر الأسود إلى غير ذلك من الفساد في البلاد، وهذه الدولة الفاطمية وخلفاؤها من ولد الحسين -رضي الله عنه- جرى في زمنها من المحن على الإسلام وأهله ما لم يجر مثله من الزنادقة[232] والخارجين على الملة قال السيوطي[233] ومنهم من أمر الناس بالسجود ومنهم من أظهر سب الأنبياء والخير منهم رافضي خبيث وقال* الباقلاني كان عبيد الله المهدي باطنيا حريصا على إزالة ملة الإسلام أعداء الفقهاء والعلماء وقال الذهبي[234] كان القائم بن المهدي[235] شرا من أبيه

---

هيئة قصور الثقافة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص٢١-٢٢ و٤٦٢. والقرامطة وهم من الباطنية ينسبون إلى حمدان بن قرمط المتوفي (٢٩٣هـ/٩٠٦م)، نشر مذهبه في البحرين وغيرها: أبو سعيد الحسن بن بهرم الجنابي المتوفي (٣٠١هـ/٩١٤م). وخلفه ابنه أبو طاهر سليمان فكان عدوانه على الحجيج واقتلاعه الحجر الأسود كما سيأتي. وبقي الحجر لديهم أكثر من عشرين عاما منذ خلافة المقتدر إلى خلافة المُطيع (٣١٧-٣٣٩هـ/٩٣٠-٩٥١م). راجع: السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص٢٥٤-٢٥٥. البغدادي، الفرق بين الفرق، سابق الإشارة، ص٢٤٧ وما بعدها.

**(٢٣٢)** الزنادقة: جمع زنديق، وهو القائل ببقاء الدهر (أزلية العالم أو قدمه)، أو من لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق. راجع: ابن منظور، لسان العرب، سابق الإشارة، جـ٣ ص٢٠٤.

**(٢٣٣)** جلال الدين عبد الرحمن بن محمد السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ/١٤٤٤-١٥٠٥م) أحد أهم علماء عصره. له ما يزيد عن خمسمائة مصنف في العلوم الشرعية والتاريخ. ترجم لنفسه في بعض كتبه مثل: حسن المحاضرة راجع: يسري عبد الغني، معجم المؤرخين المسلمين، سابق الإشارة، ص١٢٧-١٤٤.

**(٢٣٤)** شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ/١٢٧٤-١٣٤٧م) كانت ولادته في دمشق، ثم ارتحل في طلب العلم،

وكانوا يدعون علم المغيبات والولاية قال بن خلكان[٢٣٦] وقد صعد العزيز[٢٣٧] المنبر يوما فراى[٢٣٨] ورقة فيها مكتوب

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقة
إن كنت أعطيت علم غيب بين لنا كاتب البطاقة[٢٣٩]

هذا كله وقع في دول الخلفاء السابقين ولم نسمع بشيء من ذلك في دول الخلفاء العثمانيين، إنما ديدنهم[٢٤٠] رفع منار الدين وإعزاز شأن المسلمين ومن مناقب هذه الدولة المباركة العثمانية فتح مدينة القسطنطينية[٢٤١] وقد حام على فتحها* ملوك الإسلام قديما وحديثا

---

ويعد كتابه تاريخ الإسلام أهم ما صنفه علماء المسلمين في فرع التراجم. راجع: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، سابق الإشارة، ج٣، ص٢٠٣-٢٠٦.

**(٢٣٥)** القائم أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي حكم بين (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٣-٩٤٥م).

**(٢٣٦)** أحمد بن محمد بن إبراهيم شمس الدين أبو العباس عرف بابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ/١٢١١-١٢٨٢م) كانت ولادته في إربل بالعراق، ثم استقر في دمشق وولي قضاء الشام. صاحب أحد أهم المصنفات في فرع التراجم، وهو: وفيات الأعيان. راجع: جرجي زيدان، المصدر السابق، ج٣، ص١٧٢-١٧٤.

**(٢٣٧)** العزيز لدين الله نزار أبو منصور حكم بين (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م).

**(٢٣٨)** هكذا في الأصل، والصحيح: فرأى.

**(٢٣٩)** السيوطي، تاريخ الخلفاء، سابق الإشارة، ص٣-٤.

**(٢٤٠)** ديدنهم: عادتهم ودأبهم.

**(٢٤١)** كان الإمبراطور الروماني قسطنطين قد جعل القسطنطينية عاصمة للبلاد، مما كان يُشير إلى انقسام الإمبراطورية الرومانية وضعفها، وتأثير الديانة المسيحية والثقافة

غزاها معاوية بن أبي سفيان ومسلمة بن عبد الملك بن مروان والرشيد والمامون[٢٤٢] ووجه المعتصم لها جيشا وغيرهم من الخلفاء[٢٤٣] وعجزوا جميعا عن ذلك حتى هيأ الله ذلك الفتح المبين على يد السلطان الفاتح محمد الثاني العثماني[٢٤٤] فكان هذا هو المشار إليه

---

الشرقية في الوقت الذي اتجهت الحياة في المدن الرومانية إلى الذبول، فمهدت للنظام الإقطاعي، وفي (٣٩٥م) انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى: إمبراطورية غربية عاصمتها روما، وشرقية عاصمتها القسطنطينية. وسقطت الأولى على يد القبائل= =الجرمانية في (٤٧٦م)، قبل سقوط العاصمة الأخيرة بيد العثمانيين. راجع: د. صوفي حسن أبو طالب، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، القاهرة: دار النهضة العربية، = = ١٩٨٨م، ص٣٤٥-٣٥٦. د. محمد نور فرحات، محاضرات في أصول القانون والنظام، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٢٦-٢٣٠.

**(٢٤٢)** هكذا في الأصل، والصحيح: المأمون.

**(٢٤٣)** مسلمة بن عبد الملك بن مروان القرشي الأموي بلغ القسطنطينية فأقام بها حتى مات سليمان بن عبد الملك، ثم أمره عمر بن عبد العزيز بالرجوع لما ولي الخلافة، وفي غزوة مسلمة تلك كان عبد الله بن كليب أول من ضرب بسيفه بابها وأول من أذن في بلاد الروم. راجع: ابن قتيبة، المعارف، سابق الإشارة، ص٣٦٠ و٥٥٦. وكان للخلفاء المذكورين غزواتهم إلى بلاد الروم، وفي إحداها توفي المأمون. وهم: هارون الرشيد أبو جعفر بن المهدي بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس حكم بين (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م). المأمون عبد الله أبو العباس بن الرشيد حكم بين (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م). المعتصم بالله أبو إسحق محمد بن الرشيد حكم بين (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م). راجع، نفس المصدر، ص٣٨٢ و٣٩١-٣٩٢.

**(٢٤٤)** فتحها السلطان محمد الثاني في (٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، لتأمين مواصلات الدولة العثمانية في آسيا وأوروبا، فلُقب بالفاتح. واتُخذت عاصمة لدولته، وسميت استنبول أو

بالحديث قال -صلى الله عليه وسلم-: «لتفتحن القسطنطينية فنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش» ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن مناقب هذه الدولة أيضا أنها حفظت بيضة الإسلام[٢٤٥] في زمن أصبح الإسلام (بين أعدائه كالشية البيضاء في الأدهم)[٢٤٦]* فكانما[٢٤٧] ذخرها الله في الغيب وأوجدها أشد ما كان الإسلام حاجة إليها وعوزا لها، أما غيرها من الدول فقد قامت بأمر الإسلام ولا عدو له ينازعه ولا مكاثر يكاثره[٢٤٨] وبيان ذلك أنه لم يكن للإسلام عند ظهوره من عدو يغالبه إلا الفرس والروم وكان ملك الفرس بالعراقين وخراسان وما وراء النهر وملك الروم بالشأم[٢٤٩] وما يليه من أمصار الروم وما عدا ذلك فاوزاع في الآفاق[٢٥٠] مستضعفون في أمرهم ثم هيأ الله للإسلام الفتح

---

إسلامبول أو الآستانة. ومدة حكمه (٨٥٥-٨٨٦هـ/١٤٥١-١٤٨١م). راجع: د. عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، سابق الإشارة، ص٦٥-٦٦.

**(٢٤٥)** بيضة الإسلام: حماه وحرمه وحوزته.

**(٢٤٦)** الشية: اللون، وسائر لون الجسد. والأدهم: شديد السواد، من دهم ومدهام. ويُضرب هذا المثل في الأمر إذا صار غريبا لضعفه وقلته. راجع: د. عبد الحميد إبراهيم، قاموس الألوان عند العرب، القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٨٩م، ص٨٨ و١٣٥. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، سابق الإشارة، جـ١ ص٣٨٦.

* ص ٣٤ من المخطوط.

**(٢٤٧)** هكذا في الأصل، والصحيح: كأنما. ذخرها: حفظها لحين الحاجة لها.

**(٢٤٨)** مكاثر يكاثره: متغلب يغالبه بكثرته وقوته.

**(٢٤٩)** هكذا في الأصل، والصحيح: الشام.

**(٢٥٠)** فأوزاع في الآفاق: جماعات متفرقة.

القريب ففتح فارس وأكثر أمصار الروم على يد سعد بن بي وقاص وخالد بن الوليد وأبي عبيدة[251]* في آخرين[252] من الصحابة فخلا الجو من الأعداء وثلث عروشهم[253] شرقا وغربا وتوالت الفتوح في الأمصار حتى لم تنقض أيام الخلفاء الراشدين إلا وقد تمت أكثر الفتوح وتمهد الأمر لخلفاء الملة من بعدهم قرونا عدة تداولوا فيه أمر المسلمين لا ينازعهم منازع ولا يغالبهم مغالب ولا يخرج عليهم خارج إلا منهم، وما عدا ذلك إنما هي صوائف[254] يرسلونها كل سنة لقتال الروم والإغريق فتغذوا[255] وتغنم ما شاءت ثم ضرب الدهر ضرباته وحال الحال

**(٢٥١)** وكلهم من أشهر القادة الفاتحين في أملاك فارس والروم حتى النصف الأول من القرن الأول الهجري: سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، توفي بين (٥٥-٥٨هـ/٦٧٤-٦٧٧م). خالد بن الوليد بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم ولقبه سيف الله، توفي (١٢١هـ-٧٣٨م). أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن ضبة بن الحارث بن فهر. راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، سابق الإشارة، جـ٢، ص٩١-٩٢ و٧٣-٧٤ و٣٤٢-٣٤٦.

**(٢٥٢)** هكذا في الأصل، والصحيح: وآخرين.

**(٢٥٣)** ثلث عروشهم: المعنى هنا أنه تفرقت وضعفت.

**(٢٥٤)** صوائف: جمع صائفة وهي الغزوات التي كانت تخرج صيفا من ثغور الشام زمن الفتوحات والخلفاء الصالحين. وهناك غزوات أخرى كانت تخرج في الشتاء: شواتي، وثالثة في الربيع: ربيعية. راجع: أمين الخولي، الجندية والسلم، واقع ومثال، القاهرة: هيئة الكتاب، ٢٠٠٣م، ص٨٧-٨٨. ابن عبد ربه، العقد الفريد، سابق الإشارة، جـ١، ص١٤١.

**(٢٥٥)** هكذا في الأصل، والصحيح: فتغزوا.

(واستنسر البغاث)[٢٥٦] وهب أعداء الملة في قوة ومنعة وتألبوا عليها شرقا وغربا برا وبحرا في جموع لا يحصرها حد ولا يعدها* عد فاختار الله للإسلام من يقوم به في ملتقى هذه الصعاب وينصر الله ويهزم الأحزاب فايد[٢٥٧] الله هذه الدولة بروح من عنده فقامت بالأمر تجاهد في ذات الله على توالي الدهر بأيام صالحات لها أقرب النسب بحنين وبدر[٢٥٨] وتحفظ الملة وتحمي زمارها[٢٥٩] وتعلي في الخافقين[٢٦٠] منارها أعز الله نصرها ما توالى الجديدان وأضاء النيران[٢٦١] آمين.

---

**(٢٥٦)** استنسر: تشبه بالنسر في قوته. البُغاث والأبغث: من طير المساء بلون الرماد، وقيل البُغاث طائر أبيض، وقيل طائر أبغث اللون أي أغبر اللون، ويُضرب المثل فيُقال: «استنسر البغاث»، يقصدون به الضعيف عندما يدعي أو يزعم القوة. راجع: د. عبد الحميد إبراهيم، قاموس الألوان، سابق الإشارة، ص١٩-٢٠.

**(٢٥٧)** هكذا في الأصل، والصحيح: فأيد

**(٢٥٨)** حُنين هي آخر المعارك الكبرى بين المسلمين ومشركي الحجاز زمن النبي -عليه السلام- (٨هـ/٦٣٠م). أما بدر فقد سبق الإشارة إليها. ولا وجه للاحتجاج هنا بغزوة حُنين، لأن بدايتها شهدت تراجعا وخذلانا بين صفوف المسلمين. ومع ذلك قد يكون الاستشهاد بالواقعتين فيه تأييد لكلام العطار، وذلك إذا كان مقصده تأييد الله -تعالى-= =للدولة العثمانية بروح من عنده وجنود من جنده. وهو المعنى الذي تضمنته آيات القرآن الكريم في سورتي الأنفال التوبة.

**(٢٥٩)** زمارها: جمع زُمَرة، وهي الفوج أو الجماعة من الناس. راجع: ابن منظور، لسان العرب، سابق الإشارة، ج٣، ص١٩٩.

**(٢٦٠)** الخافقين: جمع خافق، وهو الأفق، فيقال: أُفق المشرق وأُفق المغرب.

**(٢٦١)** الجديدان: الليل والنهار. النيِّران: الشمس والقمر.

# قائمة المراجع

## أولا: الكتب

- أحمد شلبي بن عبد الغنى: أوضح الإشارات فيمن تولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ العيني تحقيق: د عبد الرحيم بعد الرحمن عبد الرحيم القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م

- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا القاهرة: هيئة الكتاب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك القاهرة، [من دون]

- أحمد محمد شاكر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ط٣ القاهرة: دار التراث، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

- د أحمد محمد البغدادي:

  • كتاب السجون من الفتح الإسلامي إلى الحكم العثماني ط١ القاهرة: دار النهضة العربية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م
  • شرعية السلطنة الأيوبية ط١ القاهرة: دار النهضة العربية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

- د أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، [من دون].

- أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية ط١ تحقيق: أحمد أبو ملحم بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧/١٩٨٥م
- أمين الخولي: الجندية والسلم واقع ومثال القاهرة: هيئة الكتاب، ٢٠٠٣م
- بيتر جران: الجذور الإسلامية للرأسمالية في مصر ١٧٦٠-١٨٤٠ ط١ ترجمة: محروس سليمان مراجعة: د رؤوف عباس القاهرة: دار الفكر، ١٩٩٣م
- د توفيق برّو: تاريخ العرب القديم ط٢ دمشق: دار الفكر، ١٩٨٢م
- جرجي زيدان:
  - تاريخ آداب اللغة العربية مراجعة وتعليق: د شوقي ضيف القاهرة: دار الهلال، [من دون]
  - تاريخ التمدن الإسلامي راجعه وعلق عليه: د حسين مؤنس القاهرة: دار الهلال، [من دون]
- د جلال أمين: تنمية أم تبعية اقتصادية وثقافية القاهرة: مطبوعات القاهرة، [من دون]
- حافظ بن أحمد حكمي: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة تحقيق: عبد الله المنشاوي المنصورة: مكتبة الإيمان، [من دون].

- د حسين عثمان: منهج البحث التاريخي ط٦ القاهرة: دار المعارف، [من دون]
- د رمضان عبد التواب: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ط٢ القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م
- روبير سوليه: مصر ولع فرنسي ترجمة: لطيف فرج القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٩م
- الزبيدي: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ط١ المنصورة: مكتبة الإيمان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م
- د صوفي حسن أبو طالب:
  - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٨م
  - تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد العربية ط٤ القاهرة: دار النهضة العربية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م
- د طاهر عبد الحكيم: الشخصية الوطنية المصرية قراءة جديدة لتاريخ مصر ط١ القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٦م
- عباس محمود العقاد: عبقرية الإمام القاهرة: هيئة الكتاب، ٢٠٠٢م

- أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي المعروف بابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب بيروت: دار إحياء التراث العربي، [من دون].
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي: تاريخ الخلفاء القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، [من دون]
- عبد الرحمن بن حسن برهان الدين الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار تحقيق: عبد العزيز جمال الدين القاهرة: مكتبة مدبولي، [من دون].
- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة الإسكندرية: دار ابن خلدون، [من دون]
- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري: فتوح مصر وأخبارها ط١ القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ/١٩٩١م
- الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز ط١ الإسكندرية: دار ابن خلدون،١٤١٧هـ/١٩٩٦م
- د عبد الرحيم مصطفي: في أصول التاريخ العثماني ط١ القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

- د عبد الرزاق السنهوري: أصول الحكم في الإسلام ترجمة: د نادية عبد الرزاق السنهوري مراجعة وتعليقات وتقديم: د توفيق الشاوي القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٨م
- عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها ط٧ القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م
- أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: الفرق بين الفرق تحقيق: محمد عثمان الخشت مكتبة ابن سينا، [من دون]
- د عبد الكريم زيدان: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ط٦ بغداد: مكتبة القدس، ١٤٠١هـ/١٩٨١م
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدينوري: المعارف تحقيق: د.ثروت عكاشة القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٢م
- أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري الحميري: السيرة النبوية علق عليها وخرج أحاديثها ووضع فهارسها: عمر عبد السلام تدمري القاهرة: دار الريان للتراث، [من دون]
- عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه ط٨ القاهرة: مكتبة الدعوة الإسلامية، [من دون]
- عبد الوهاب النجار: الخلفاء الراشدون القاهرة: مكتبة دار التراث، [من دون]

- أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح: مقدمة علوم الحديث القاهرة: دار زاهد القدسي، [من دون]
- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي البغدادي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية الإسكندرية: دار ابن خلدون، [من دون]
- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير: الكامل في التاريخ ط١ تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحنين إلى الأوطان القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٨م
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن الكريم القاهرة: دار الريان للتراث، [من دون]

- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ط١ القاهرة: دار الغد العربي، ١٩٩٦م
- أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي البغدادي: المُحبر تحقيق: سيد كسروي القاهرة: دار الغد العربي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
- محمد الخضري:
  - أصول الفقه القاهرة دار الحديث، [من دون]
  - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، [من دون]
- محمد رشيد رضا: الخلافة القاهرة: الزهراء للإعلام العربي ١٤١٥هـ/١٩٩٤م
- محمد أبو زهرة:
  - الدعوة إلى الإسلام تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن القاهرة: دار الفكر العربي، [من دون]
  - تاريخ المذاهب الإسلامية القاهرة: دار الفكر العربي، [من دون]
  - د محمد أنيس: الدولة العثمانية والمشرق العربي القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، [من دون]

- أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان: ضوابط الكتابة عند المحدثين ط١ القاهرة: مكتبة المدينة المنورة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م
- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ضبطه وقدم له وعلق عليه: محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، [من دون]
- أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل بيروت: دار الكتب العلمية، [من دون]
- محمد عبد الله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٩م
- أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم تحقيق: د إلهامي نقرة ود عبد الحليم عويس القاهرة دار الصحابة، [من دون]
- حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ط١ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م
- محمد الغزالي:
  - فقه السيرة ط٨ خرج أحاديثه: ناصر الدين الألباني القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
  - كيف نتعامل مع القرآن القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٨م

- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية القاهرة: مكتبة الآداب، [من دون]
- د. محمد نور فرحات:
  - التاريخ الاجتماعي للقانون في مصر الحديثة العصر العثماني [من دون]، ١٩٨٦م
  - محاضرات في أصول القانون والنظام: القاهرة، [من دون]، ١٩٩٢م
- محمد يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة ط١ تحقيق: محمد شحاته وإبراهيم محمد رزق القاهرة: دار المنار، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م
- أبو عمر محمد بن يوسف الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة تهذيب وتصحيح: رفن جست القاهرة: مؤسسة قرطبة، [من دون]
- د. محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث الرياض: مكتبة المعارف، [من دون].
- محيي الدين أبي زكريا يحيي بن شرف النووي شرح صحيح مسلم خرج أحاديثه: صلاح عويضة راجعه لغويا: محمد شحاته ط١ المنصورة: دار المنار، مكتبة فياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م
- يسري عبد الغني عبد الله: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري ط١ [من دون]، ١٤١١هـ/١٩٩١م

# ثانيا: الدوريات


- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: كتاب التنازع والتخاصم فيما بين بني أُمية وبني هاشم ذخائر العرب العدد ٦٢ القاهرة: دار المعارف، [من دون]
- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: كتاب العقد الفريد شرحه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري الذخائر العدد ١١١-١١٧٠ القاهرة: هيئة قصور الثقافة، يناير ٢٠٠٤م أبريل ٢٠٠٤م
- تقرير الحالة الدينية في مصر: ط٣ القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٩٥م
- حسين المرصفي: رسالة الكلم الثمان تحقيق: د محمد حافظ دياب ذاكرة الكتابة العدد ٣١ القاهرة: هيئة قصور الثقافة، أبريل ٢٠٠٢م
- د حسين مؤنس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها عالم المعرفة العدد ٢٣٧ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: كتاب عيون الأخبار الذخائر العدد ١٠١-١٠٤ القاهرة: هيئة قصور الثقافة، أغسطس ٢٠٠٣م سبتمبر ٢٠٠٣م
- أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي: الاقتباس من القرآن الكريم تحقيق: د. إبتسام مرهون الصفار ود مجاهد مصطفي

بهجت الذخائر ١٠٧-١٠٨ القاهرة: هيئة قصور الثقافة، نوفمبر ٢٠٠٣م

- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ط٤ صححه: هلموت ريتر الذخائر العدد ٦١ القاهرة: هيئة قصور الثقافة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
- تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي: جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء تحقيق: د مصطفي جواد ذخائر العرب العدد ٢٨ القاهرة: دار المعارف، [من دون]
- أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأُموي المعروف بالأصفهاني: مقاتل الطالبيين شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر الذخائر العدد ٩٧-٩٨ القاهرة: هيئة قصور الثقافة، يونية ٢٠٠٣م
- علي بن محمد بن العباس المعروف بأبي حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين الذخائر العدد ٨٣ القاهرة: هيئة قصور الثقافة، [من دون]
- أبو حيان التوحيدي وابن مسكويه: الهوامل والشوامل نشره: أحمد أمين والسيد أحمد صقر الذخائر ٦٨ القاهرة: هيئة قصور الثقافة، [من دون]
- فاطمة حسن العبد الفتاح: جهود العلماء العرب في روسيا في القرن التاسع عشر مجلة الفيصل العدد ٣١٦ الرياض: دار الفيصل، شوال ١٤٢٣هـ/ديسمبر ٢٠٠٣م

- د الفضل شلق: الجماعة والدولة جدليات السلطة والأمة في المجال العربي والإسلامي مجلة الاجتهاد العدد ٣ بيروت: دار الاجتهاد، ربيع ١٩٨٩م
- د محمد بيومي مهران: دراسة حول التأريخ للأنبياء مجلة كلية الآداب العدد ٣٩ جامعة الإسكندرية: كلية الآداب، العام الجامعي ١٩٩١-١٩٩٢م
- د محمد دويدار: التكون التاريخي للتخلف الاقتصادي في مصر مجلة مصر المعاصرة العدد ٣٧٣ السنة ٦٩ القاهرة: جمعية الاقتصاد السياسي والتشريع، يوليو ١٩٧٨م
- د محمد عفيفي: ماذا فعلت الحملة الفرنسية في مصر حوار: سيد محمد محمود مجلة الأهرام العربي العدد ٣٦٢ القاهرة: مؤسسة الأهرام، ٨ من المحرم ١٤٢٥هـ/٢٨ من فبراير ٢٠٠٤م
- د محمد نور فرحات: المجتمع والشريعة والقانون كتاب الهلال العدد ٤٢٦ القاهرة: دار الهلال رمضان ١٤٠٦هـ/يونية ١٩٨٦م
- محمود محمد شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا كتاب الهلال العدد ٤٢٢ القاهرة: دار الهلال، أكتوبر ١٩٨٧م
- المنتخب من أدب العرب: جمعه وشرحه: د طه حسين وأحمد الإسكندري وأحمد أمين وعلى الجارم وعبد العزيز البشري وأحمد ضيف الذخائر العدد ٦٧ القاهرة: هيئة قصور الثقافة، [من دون]

# ثالثا: المعاجم والموسوعات


- د عبد الحميد إبراهيم: قاموس الألوان عند العرب القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٨٩م
- د على جمعة: المكاييل والموازين الشرعية ط١ القاهرة: دار الرسالة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب ط١ بيروت: دار صادر،١٩٩٧م
- المعجم الفلسفي المختصر: موسكو: دار التقدم، ١٩٨٦م
- المعجم الوجيز: القاهرة: وزارة التربية والتعليم، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م
- الموسوعة الفلسفية المختصرة: نقلها من الإنجليزية: فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق راجعها: د زكي نجيب محمود بيروت: دار القلم، [من دون]
- د نبيل عبد السلام هارون: المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم ط١ القاهرة: دار النشر للجامعات، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

# إصدارات المعمل القانوني

## دوريــة المعمل القانونــي

دورية قانونية مُعتمدة من أكاديمية البحث العلمي مُتخصصة في تبسيط المعرفة القانونية ونشر الوعي القانوني، يُشارك فيها مجموعة من أساتذة القانون في الجامعات والهيئات القضائية ونقابات المحامين في مصر والوطن العربي.

صدر العدد الأول منها في يوليـو ٢٠١١م

## سـلاسـل المعمل القانونـــي

## أ.د/ أحمد محمد البغدادي

### سلسلة أنا مِش بصمجي

١. عـايز أعـرف المسـتور: توعيـة بأسـباب بطـلان دسـتور ٢٠١٢، الطبعة الأولى، ديسمبر ٢٠١٢م

### سلسلة جواز إلى الحرية

١. كيف تكتب دستورك: أهم ٣١ سؤالا في مشروع دستور ٢٠١٣ وعيوبه، الطبعة الأولى، أغسطس ٢٠١٣م

٢. أهم ٢٠ سؤالا في قانون التظاهر ١٠٧ لسنة ٢٠١٣ ومفاتيح تعديله: الطبعة الأولى، ٢٠١٦م

### سلسلة ميه مالحة

١. يناير وأنت جاي، الجزء الأول «الخماسيات»، الطبعة الأولى، نوفمبر ٢٠١٥م

٢. هلاهيل، مجموعة قصصية، الطبعة الأولى، فبراير ٢٠٢٢م

## إصدارات المعمل القانوني
## من الدراســـات القانونية والتاريخية والاجتماعيـــة

١. كيف تُصبح سفيرا للعدالة: د أحمد البغدادي (نماذج وتطبيقات مُبتكرة في مهارات المنطق والتفكير القانوني ومفهوم العدالة، الطبعة الأولى، أكتوبر ٢٠١٦م)

٢. نظام الخلافة الإسلامية وأزمة الشرعية: د. أحمد البغدادي (تشكل الفقه والوعي السياسي للمسلمين جذور فكرة التوريث والاستبداد، الطبعة السادسة، أكتوبر ٢٠١٦م)

٣. ظاهرة حكومة الجباية عند المسلمين: د أحمد البغدادي (جذور علاقة السلطة بالثروة أنظمة الاستثمار وأُمراء الجيوش التوظيف السياسي لأنظمة الضمان الاجتماعي، الطبعة السادسة، أكتوبر ٢٠١٦م)

٤. قوانين التظاهر والاجتماعات في مصر: د أحمد البغدادي (الجذور الاجتماعية والأصول القانونية لقوانين التجمهر والتظاهر منذ سنة ١٩١٤م، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م)

٥. اليسار المصري وتكوين الوجدان الجمعي للمصريين: أد محمد مدحت مصطفي (أكثر من خمسين شخصية حملت راية المعرفة وشعلة الفن وأنارت عقول المصريين ونشرت البهجة في بيوتهم وشوارعهم، الطبعة الأولى، ديسمبر ٢٠١٨م)

٦. الصراع فوق أرض فلسطين: د السيد عبد السلام (فلسطين والعرب والمشروع الصهيوني الاستعمار واستراتيجية التحرير، الطبعة الأولى، ديسمبر ٢٠١٨م).

٧. الموجز في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية: أد محمد مدحت مصطفي (موجات الحركة الشيوعية وتنظيماتها في مصر وقضايا الخلاف الفكري بينها، الطبعة الأولى، إبريل ٢٠١٩م)

للتواصل مع:

أ.د/ أحمد محمد البغدادي

أستاذ فلسفة القانون وتاريخه

مستشار الجودة والتطوير بحقوق بنها

مُحرر إصدارات المعمل القانوني

Edu mail: ahmedalbaghdady@flawbuedueg

E mail: ahmed boghdady1805@gmailcom

Facebook: Ahmed Boghdady

WhtsApp : 01224288082

Page: المعمل القانوني أد/ أحمد بغدادي